تراسل الحواس في البلاغة العربية

نماذج من القرآن الكريم
والسنة النبوية
والشعر العربي القديم

بحث من إعداد الباحثة

نشوى صبري المتولي السيد

المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
بكفر الشيخ – قسم البلاغة والنقد
والمتعاقد لدى كلية العلوم والآداب
بجامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية
nelsyed@ju.edu.sa

ملخص بحث

تراسل الحواس في البلاغة العربية

"نماذج من القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر العربي القديم"

تعد البلاغة العربية أهم علوم اللغة العربية ؛ فهي تجمع بين العلوم اللسانية والإنسانية؛ تهتم بمشاعر الإنسان ، ومكنونات نفسه وكيفية إخراجها بأكثر من طريقة ، ويعد تراسل الحواس إحدى هذه الطرق؛ وقد عالج البحث الذى بين أيدينا قضية من أهم القضايا البلاغية، فكثيرا ما نرى السطو على تراثنا الأدبي واللغوي، ونسبة كل ما هو ذا قيمة إلى الغرب، وهذا ما حدث بالفعل مع قضية تراسل الحواس؛ فقد نسبها الرمزيون إلى أنفسهم وتجاهلوا كل ما ورد منها في البلاغة العربية، وقد عرض البحث تأصيل لتراسل الحواس في اللغة العربية، ومن خلال عرض وتحليل بعض شواهد لتراسل الحواس في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مبينة فيها مكانة هذا الفن ، وأثره في التأثير فى النفس البشرية واستخراج مكنوناتها تحققنا من وجود صورة هذا الفن البلاغي منذ القدم، ولما كان الشعر ديوان العرب عرض البحث شواهد من تراسل الحواس في الشعر العربي القديم مبيناً أثر هذا الفن في هذه الأشعار ، ولدور الموازنات في عرض مثل هذه القضايا وما تتركه من أثر قوى في نفس السامع عرض البحث موازنات لتراسل الحواس بين الشعر العربي القديم والشعر العربي الحديث، وعرض موازنات بين شعر منح تراسل الحواس وشعر حُرم من هذه المنحة ، وفى أثناء عرض هذه الشواهد والموازنات تبينا جمال هذا الأسلوب وطاقاته الإبداعية في عرض المعاني وتأثيرها على النفس البشرية ؛ لنتوصل إلى وجود مضمون الفن في البلاغة العربية منذ القدم وإن لم يُعرف المصطلح سوى في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية:

تراسل الحواس– القرآن الكريم– السنة النبوية– الشعر العربي.

Research Summary
Corresponding senses in Arabic rhetoric
"Models of the Holy Quran, Sunnah and Ancient Arabic Poetry"

Arabic rhetoric is the most important science of the Arabic language; it combines linguistic and human sciences; interested in human feelings, and the components of himself and how to bring them out in more than one way, and correspondence of the senses is one of these ways; On the literary and linguistic heritage, and the proportion of all that is of value to the West, and this is what really happened with the issue of the senses correspondence; symbolic attributed to themselves and ignored all of them in Arabic rhetoric, the research has shown the rooting of the senses correspondence in Arabic, and through the presentation And analyze some evidence for the senses in the Koran N Karim and Hadith showing the status of this art, and its impact on the impact on the human psyche and extraction of its components We have verified the existence of the image of this rhetoric art since ancient times, and since the poetry Diwan Arab view research evidence of the senses in the ancient Arab poetry In addition, the role of budgets in the presentation of such issues and the strong impact they have on the same hearing is presented. The research presented budgets for communicating the senses between old Arabic poetry and modern Arabic poetry. The beauty of this Slope and his creative energies in the presentation of meanings and their impact on the human psyche; Let us reach the existence of the content of art in Arabic rhetoric since ancient times, although the term is known only in modern times.

key words:
Corresponding to the senses - the Koran - the Sunnah - Arabic poetry.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ هود: ٨٨

الحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه وسحائب كرمه والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين أفصح من نطق بالضاد وأهدى رائد على طريق الرشاد قال عنه رب العباد ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ النجم: ٣.

وبعد،،

خلق الله سبحانه وتعالى البشر من قديم الأزل، وكان اللسان لغة التواصل بين بنى البشر مهما تعددت لهجاتهم، واختلفت لغاتهم؛ فآلة التعبير واحدة، وكعادة البشر التي لا تتوقف عند زمان ولا يحدها مكان، كل يعتقد أنه صاحب الفضل في كل ما هو ذا قيمة وأثر.

فوُجد من ينكر وجود تراسل الحواس قديماً ويزعم أنها من ابتكار الرمزيين، وأخلصها ضمن المذاهب الأدبية الحديثة، والواقع الذى سوف يثبته البحث خلاف هذا الفكر فللقضية بذور ممتدة عبر التاريخ مبتدئة من الشعر الجاهلي ممتدة أصولها عبر العصور حتى العصر الحديث، ولكى أكون حيادية في عرض هذه القضية، ولا أصدر أحكاماً دون أدلة أو برهان اتجهت إلى الاستقراء في معظم ما يخص القضية، واستنباط الحكم بوجودها أو عدمه من خلال الأدلة المتنوعة المساقة من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي القديم، وخصصت الشعر بالقديم لكونه ضمن دائرة الخلاف كل هذا لاستخراج الحكم من عقل القارئ، وإقراره بعد الاستوثاق من كل ما عُرض عليه.

فالقضية التي بين أيدينا قضية ذات جذور وأصول، عُبر عنها تارة بتراسل الحواس وتارة أخرى بتبادل الحواس، وسأبين الفرق بينهما، وأعرض مفهوم التراسل وأقوم بالتأصيل له، والآراء التي دارت حوله، وأهميته في البلاغة العربية، كل هذا موضحاً بالشواهد القرآنية التي تثبت علاقته

بالاستعارة المكنية ذات الأصل البلاغي القديم، كذلك سيبين البحث أثره فى البلاغة القرآنية.

دوافع اختيار الموضوع:

– رغبة في خوض غمار القضايا النقدية، والوقوف على أسرارها، لما تثري به البحث بل البلاغة العربية من إضافة في الأصول وإعادة النظر في المصطلحات البلاغية والنقدية، وإضافة كل أصل له جذور، ووضعه في مكانه المناسب، حتى لا نتهم بالتقصير في حق لغتنا، أو تتهم اللغة بهذه التهمة نظراً لإغفالنا، أو غض الطرف عما يحاك لنا.

– لتعلق الموضوع ببيان حقيقة غاية في الأهمية، وهى كون عدم التعرف على المصطلح بالشكل الذى تم الاتفاق عليه لا يعنى نفى تحققه، فقد وجد مضمون المصطلح في النصوص التي تم الاستشهاد بها ولكن المصطلح لم يتم التعرف عليه.

– كون موضوع الدراسة متعدد الاتجاهات، معتمدا على أصول هي مصدر التقعيد والاستشهاد الذى لا يتأتى لأحد أن ينكر أياً منها، القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩، والسنة النبوية قال تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ النجم: ٣، والشعر العربي الذى هو ديوان الأمم ونبض إحساسها؛ فالشعر ليس تعبيراً عن حقائق ذهنية بل هو أمر نفسي يتخطى حدود المنطق، كما أن الشاعر لا يفسر تجربته تفسيراً منطقياً وإنما يحيلها إلى صورة فنية رائعة يضع فيها كل أسلوب في مكانها اللائق به.

– لبيان أثر تراسل الحواس في النصوص وما تعكسه من أثر نفسي إيجاباً أو سلباً.

– بيان علاقة تراسل الحواس بالبلاغة العربية وتحديد انتماءاته البلاغية.

منهج البحث:

المنهج الذى سار عليه البحث هو المنهج التحليلي الذى يعتمد على الاستقراء والاستقصاء أولاً، وعلى التذوق ثانياً، وعلى البحث عن السر الجمالي ثالثاً؛ مما جعلني أطوف حول القضية وأقرأُ قراءة متأنية حتى أتمكن من وضعها في المكان المناسب لها، والدقة في اختيار النصوص التي تم الاستشهاد بها؛ ليكون القارئ من يقر بوجودها في البلاغة العربية.

ولإبراز ما سبق على نحو تفصلي يلم بكافة جوانب الموضوع، فقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم تراسل الحواس والتأصيل له (بذور القضية)

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم تراسل الحواس.

المطلب الثاني: بذور قضية تراسل الحواس.

المبحث الثاني: تراسل الحواس في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تراسل الحواس في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تراسل الحواس في الحديث الشريف.

المبحث الثالث: تراسل الحواس في الشعر العربي، ويتضمن مطلبين.

المطلب الأول: شواهد لتراسل الحواس في الشعر العربي القديم.

المطلب الثاني: موازنة بلاغية لتراسل الحواس في الشعر القديم والحديث.

المبحث الأول

مفهوم تراسل الحواس والتأصيل له (بذور القضية)

المطلب الأول

مفهوم تراسل الحواس.

المطلب الثاني

بذور قضية تراسل الحواس.

المطلب الأول

مفهوم تراسل الحواس

القضية التي بين أيدينا قضية ذات جذور وأصول، عبر عنها البعض تارة بتراسل الحواس والبعض الآخر بتبادل الحواس، وفى هذا المطلب سنحاول الوقوف على أي المصطلحين أدق في التعبير عما سنصل إليه من معنى وجوهر هذا الفن البلاغى، هل تراسل أم تبادل، وبذلك يتبين لنا الفرق بين المصطلحين؛ والمعنى المراد بهذا الفن؛ ليكون القارىء على بصيرة من أمره؛ ويسلم بدقة ألفاظ اللغة في التعبير عن معانيها، ومدى مراعاتها الجانب النفسي، ودلالة السياق وأثره في تحديد المعاني.

مفهوم التراسل:

بالاستقصاء للمعاجم العربية لاستخراج المعنى اللغوي للتراسل، وُجد أن مادتها تدور حول معان عدة منها: " يقال " والرَّسَل": قَطِيع بعد قَطِيع، وفي الحديث: أَن الناس دخلوا عليه بعد موته أَرسالاً يُصَلُّون عليه أَي أَفواجاً وفِرَقاً متقطعة بعضهم يتلو بعضاً، وبالرِّسْل الرَّخاء والخِصْب، لأَن الرِّسْل اللبن، وإِنما يكثر في حال الرخاء والخِصْب، الرَّسْل، بفتح الراء، الذي فيه لين واسترخاء، يقال: ناقة رَسْلة القوائم أَي سَلِسة لَيِّنة المفاصل؛ والتَّرسُّل من الرِّسْل في الأُمور والمنطق كالتَّمهُّل والتوقُّر والتَّثَبُّت، وجمع الرِّسالة الرَّسائل. قال ابن جَنْبة: التَّرسُّل في الكلام التَّوقُّر والتفهمُ والترفق من غير أَن يرفع صوته شديداً. وأَرْسَل الشيءَ: أَطلقه [1].

وبتأمل دوران معنى التراسل في كتب اللغة نجد معانيها ثرية مرنة تتلاءم مع ما صيغت من أجله في المعنى الاصطلاحي، فاستبدال مدركات حاسة

١- ينظر لسان العرب، للعلامة ابن منظور، تحقيق نخبة متخصصة من الأساتذة ، طبعة دار الحديث، القاهرة ، ٢٠٠٣م ص١٤٣،١٤٢، ومختار الصحاح، للإمام محمد بن أبى بكر الرازي ، تحقيق محمد خاطر بك ، دار القرآن، بيروت ن ١٩٧٢م ، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

من الحواس لحاسة أخرى لا يعنى انعدام الحاسة الأصلية أو انتفاء المعنى كلية؛ إذ إن للحاسة المذكورة دلالة، ولمدلول السياق دلالة أخرى، ومن هنا يأتي دور التراسل في تنشيط الصورة من خلال إضافة معطيات جيدة، تحتاج من القارئ إلى اعمال الفكر لمحاولة فهم ما يدور بين الألفاظ، والسياق، والبحث عن الترابط بين كافة الأطراف؛ لإعطاء كل ذي حق حقه؛ ولاكتمال الصورة في شكل مؤثر تنفعل معها القلوب على قدر إعمال العقول من أجل الفهم الدقيق لدلة السياق، فإذا وردت حاسة وسلط السياق على دلالة حاسة أخرى؛ فهذا للتنبيه على أنها هي الأكثر أثراً في المعاني المسوقة لأجلها الألفاظ، ومع ذلك لا يستطيع القارئ إهمال الحاسة التي أهملها السياق؛ لمساهمتها هي الأخرى في تعضيد المعاني وتأييد الدلالة، فهل بعد هذا ثراء في اللغة ومرونة وعدالة بين مفرداتها.

وإذا كان الإرسال بمعنى التوجيه، فالسياق هو الموجه إلى المعنى المقصود والحاسة المفروضة. تلك الحاسة التي تجعل الجميع يقر بمكانها ووجودها وأثرها في المعاني.

مفهوم التبادل :

أبدل الشيء من الشيء وبدله اتخذ منه بدلا و أبدلت الشيء بغيره و بدله الله من الخوف أمنا و تبديل الشيء تغييره وإن لم تأت ببدل و استبدل الشيء بغيره و تبدله به إذا أخذه مكانه و المبادلة التبادل والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر[١] و استبدل الشيء بغيره و تبدله به إذا أخذه مكانه[٢]، نستخلص من ذلك أن معنى التبادل في اللغة يدور حول مبادلة الشيء بغيره.

١ – لسان العرب ، مرجع سابق ،ج١١، ص٤٨.

٢ – مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ج١، ص١٨.

بين التراسل والتبادل :

البعض عبر بتبادل الحواس وجعله مرادفاً لمصطلح " تراسل الحواس "ومن خلال ما سبق وبالتأمل بين المصطلحين نستطيع القول إن مصطلح " تراسل الحواس " أقدر على أداء المعنى، وأدق من قولنا " تبادل الحواس؛ إذ إن التبادل يعني الحذف والإثبات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1] فهل يعقل أن يحل مع الأمن ذرة من الخوف.

وقال تعالى في حق الكافرين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

فالإعجاز البلاغي في القرآن الكريم وظف حاسة الذوق في التعبير عن الإحساس بالألم؛ لأن حس الذائق أقوى من الحاسة الأصلية لإدراك العذاب وهي اللمس، كل هذا عن طريق الاستعارة المكنية؛ لأن حقيقة الذوق في المطاعم والمشارب.

فهذه الآية القرآنية عبرت عن مدلولي التبادل والتراسل: التبادل في قوله تعالى: "بدلناهم جلوداً غيرها "، والتراسل في قوله تعالى " ليدوقوا العذاب". آثر التعبير القرآني إعطاء حاسة الذوق للعذاب، بينما الحاسة الأصلية لإدراكه هي اللمس.

والمتأمل يدرك العلاقة بين حاستي الذوق واللمس؛ فشدة الإحساس الجسدي للألم يعقبه مرارة وأسى بالقلب يفقد معه الإحساس بأي شيء طيب، ولم يبقى سوى الألم وكأنه من فرط الألم وعمومه يتذوقه، فهل بعد هذا تصوير لمشهد عذاب الكفار في جهنم المتردي بين جلودٍ كلما تتلف تبدل والإذاقة

---

١ – سورة النور: ٥٥

٢ – سورة النساء: ٥٦

للعذاب؛ والهدف من هذا التبديل للحواس الارتقاء بحاسة اللمس والترقي بها إلى حاسة الذوق لبيان شدة العذاب.

وبذلك فإن التراسل يعطى الفرصة في استثمار حاستين أو أكثر من خلال ذكر حاسة واحدة؛ مما يثرى اللغة وينميها لفظاً ومعنى؛ لأنه يعطى ضمنياً نقل مفردات حاسة إلى أخرى، وبذلك تتنوع أساليب الحاسة الواحدة [١].

– وبعد عرض الآية القرآنية وبيان ما فيها من معان تدلل على أن التراسل شيء والتبادل شيء آخر مخالف للتراسل أعتقد بأن القارئ أصبح على بينة من الأمر مقراً معي بأن أفضل موضع لاستخراج كنوز اللغة ومعرفة أسرارها، والوقوف على دقائقها هو العكوف على دراسة البلاغة القرآنية التي هي لب إعجاز القرآن الكريم ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والتعامل مع اللغة كما لو كانت كأناً حياً جعل ألفاظها تنطق بمكنوناتها.

وإذا كان لكل حاسة من الحواس على حدة منزلة وقيمة في إدراك المعاني؛ فإنه إذا تنازعت حاستين لأداء المعنى وإخراجه على أكمل وجه كان أبلغ في الآداء وأقوى في التعبير، وأدل على المعاني، وأوثق وأشد تعلقاً في القلب.

١- ينظر تراسل الحواس في ملتقى ابن خلدون ، د/ أحمد فتحي رمضان ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، منشور بموقع : http://ebn-khaldoun.com
وينظر الرمزية الإيحائية في شعر بدر شاكر السياب، خيرية عجرش، وقيس خزاعل، مجلة التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد السادس، صـ ١٢٨، ١٢٩،. بحث بعنوان الصورة الفنية في النص الشعرى الحديث (الحر) : نازك الملائكة أنموذجاً د/ رائد وليد جرادات، مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٩، العدد(١+٢)سنة ٢١٣مـ ، صـ ٥٦٣ . تمهيد في النقد الأدبى الحديث، غريب، وروز، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٧١م، صـ١٩٢ .

ماهية تراسل الحواس في الاصطلاح :

الحواس هى: جمع حاسة، والحاسة: قوى طبيعية لها اتصال بأجهزة جسمية بها يدرك الإنسان والحيوان ما يطرأ على جسمه من التغيرات.

والحواس خمس في العرف العام وهى: البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس، وتسمى الحواس الظاهرة.

وعبر البعض عن تراسل الحواس بأنه: "وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى" [١]؛ وهذ يعنى أن تستعمل للشيء المسموع ما للمرئي، أو الملموس، أو المشموم، وتستخدم للشيء المشموم ما من شأنه أن يستخدم للشيء المرئي، أو الملموس، أو المسموع، وهكذا"[٢] فتعطى المسموعات ألواناً وتصير المشمومات أنغاماً، وتصبح المرئيات عطرة.

وعرفه آخر بأنه "يعني التوسع في نقل الألفاظ من مجالات استعمالها القريبة إلى مجالات اخرى مبتكرة، بحيث تستعمل للشيء المرئي – مثلا– ما من شأنه ان يستخدم للمسموع أو الملموس أو المشموم اعتمادا على تداخل الحواس جميعها وتناغمها وتمازجها تعبيرا عن نفس إنسانية واحدة"[٣].

١– تراسل الحواس في الشعر العربي الحديث ، بحوث ومقالات، د/ عبد الرحمن بن عبد العزيز الهليل ،العقيق – نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي – السعودية يناير – مارس ٢٠٠٥مـ ،مجلد ٢٧ ،العدد ٥٣,٥ ص٩٨.

٢– بناء القصيدة العربية الحديثة ، د/ على عشرى زايد ، مكتبة دار العلوم ، القاهرة ،١٩٧٩م ، ص٨١.

٣– تراسل الحواس في الشعر العربي القديم حتي نهاية العصر الأموي د نظمى الشلبي ، د محمود الحلحولي ، ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، المجلد ٥، العدد ٣، رجب ١٤٣٠ هـ/ تموز ٢٠٠٩ م ، ص١١.

فتراسل الحواس مصطلح بلاغي عربي يعرف: بإعطاء مدركات حاسة لحاسة أخرى، وهو أيضاً: أن تتبادل الحواس أدوارها الإدراكية لدى الشعراء فينفتح بعضها على الآخر ويكتسب منه بعض معطياته [١].

ماهية السياق:

ونظراً لأهمية دور السياق وكثرة تداول هذا المصطلح في طيات البحث رأيت أنه ينبغي على توضيح المصطلح ليكون القارئ على بينة من مدلول اللفظ.

السياق لغة: "سوق: السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْو الشّيء، يقال: سَاقَه يَسُوقُه سَوْقاً، والسَّيْقَة: ما استيق من الدواب، ويُقَال: سُقْت إلى امرأتي صَدَاقها، وأسَقْتُه والسُّوق مشتقة من هذا لما يُسَاق إليها من كلّ شيءٍ والساق للإنسان وغيره والجمع سُوق؛ إنّما سميت بذلك؛ لأنَّ الماشي ينْساق عليها "[٢]

السياق اصطلاحاً: "إنَّ ضمّ الوحدات اللغوية بعضها إلى بعض، وإحكام شدّ أجزائها إن اتّصالاً، وإن تتابعاً، وما تعكسه من دلالة في النصّ، أو الخطاب، أو الحديث يُسمّى سياقاً، ويبدو أنَّ الأصل اللغويّ له الأثر البالغ في هذا الفَهْم[٣].

إنَّ مفهوم السياق له أهمية جلَّية في تفسير كتاب الله تعالى، قال الزركشي (ت٧٩٤هـ) في فصل ذكر الأمور التي تعين على المعنى عند

١- الشعر العربي المعاصر، إسماعيل عز الدين ، دار العودة ، بيروت، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨١م ، صـ ١٣٢. وينظر النقد الأدبي الحديث ، د/ محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، سنة ١٩٩٧م ، ص ٣٩٥ .

٢- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥)، ترتيب إبراهيم شمس الدين، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨.

٣- بحث أثر إغفال السياق فى الابتعاد عن الدلالة المرادة فى الخطاب القرآني، الشريفي، رحيم كريم علي، المحني، حسين علي هادي (م. مشارك) ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة – العراق، مج١٠, ع٣٥ ، لسنة ٢٠١٥ م .

الإشكال: ((دلالة السياق، فإنّها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالّة على مراد المتكلم، فَمَن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[1] كيف تجد سياقه يدلّ على أنّه الذليل الحقير[2]، ويرى نصر حامد أبو زيد: "أن جدل العقل الإنساني مع النصّ، وما يؤدّي إليه عن اكتشاف دلالات جديدة في النصوص القديمة عملية لا تتمّ بمعزل عن دراسة سياق النصوص" [3].

ولعلّ عبد القاهر الجرجاني ممّن نبّه على أثر السياق، وقرائن الكلام والحال فلا "يقع التفاضل بين الألفاظ المفردة، إنّما يقع بعد أنْ تتآلف في عبارة، وتتآخى في التركيب" [4].

ويبدوا أنَّ الضمَّ والجمع والتتابع والاتصال والمصاحبة والرصف والسبك وغيرها من المدلولات تمثل ركائز واضحة المعالم لنظرية السياق، فضلاً عن المعالم المحيطة بالخطاب كالأثر العاطفي والنفسي، والتاريخي والثقافي والاجتماعي وغيرها.

١- سورة الدخان : ٤٩ .

٢- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة دار إحياء التراث العربي، مصر، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، ٢الجزء الثاني ص ٢٠٠ - ٢٠١.

٣- مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن): نصر حامد أبو زيد، الطبعة الثالثة ، المركز الثقافي للطباعة والنشر، القاهرة، م ١٩٩٦م ، ص٩٥ .

٤- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٥، المطبعة الدولية، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ص ١٢٥ .

المطلب الثاني

نشأة قضية تراسل الحواس

بعد التتبع لنشأة فن تراسل الحواس تضافرت العديد من المؤلفات التي نسبت هذا الفن إلى بودلير شاعر الرمزية مع التجاهل لأية أصول عربية لها، والمدقق والمتأمل لهذه النظرية يتحقق من كونها ذات أصول ممتدة بداية من الشعر الجاهلي حتى العصر الحديث، ولها أثر بالغ وأهميته عظمى في اللغة العربية على العموم والبلاغة العربية على الخصوص، نرى هذا في البلاغة القرآنية، والتعاضد بين الاستعارة المكنية وتراسل الحواس، وما يتركه من أثر نفسي كل هذا موضح بالشواهد القرآنية التي تثبت علاقته بالاستعارة المكنية ذات الأصل البلاغي القديم. وفيما يلى سنتعرض بالتفصيل لبيان نشأة فن تراسل الحواس وتأصيل نسبة هذا الفن .

نشأة هذه القضية وبذورها:

وبعد ما عرضنا أثناء توضيح مفهوم " تراسل الحواس " ومدى تأصله في البلاغة العربية من خلال ثبوت تواجد هذا الفن من الناحية الواقعية في كثير من النصوص القرآنية والأدبية دون أن يطلق عليه هذا المصطلح صراحة؛ نرى العجب! إذ تنسب هذه النظرية لدى العديد من المؤلفين إلى بودلير شاعر الرمزية مع التجاهل لأية أصول عربية لها، حيث خلُص العديد من المؤلفين إلى أن:

" صاحب نظرية " تراسل الحواس" بودلير شاعر الرمزية المشهور، فقد أفصحت أشعاره عما يسمى بـ " تراسل الحواس "، واختلاطها وتعبير أحدها عن الآخر؛ فاللمس والشم، والسمع، والبصر حواس من نوع آخر، ووسائل تعبير فنى تتجاوز حدودها الطبيعية إلى معان جديدة مبتكرة [1].

١- ينظر تراسل الحواس في ملتقى ابن خلدون ، د/ أحمد فتحي رمضان ، كلية الآداب، جامعة الموصل ، منشور بموقع : http://ebn-khaldoun.com=

وجعل البعض تراسل الحواس من أهم المبادئ التي نادى بها الرمزيون " وجعل من أهم المبادئ التي نادى بها الرمزيون: الاعتماد على أساليب تعبيرية جديدة للإيحاء بالمعنى والأحاسيس، مثل تراسل الحواس أي: وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات ومدركات الحاسة الأخرى "[1].

وترى الباحثة أن هؤلاء وغيرهم ممن ذهب مذهبهم جانبهم الصواب فمن قبل نشأة الرمزية كمذهب أدبى وقبل وجود بودلير كان القرآن الكريم والشعر العربي القديم متأصلة فيهما حقيقة تراسل الحواس دون مسماه الحديث .

ومن قبل ورود هذا الفن (تراسل الحواس) عند الرمزيين نرى كتاب الله العزيز وهو يهدف إلى تحفيز قوى وطاقات المخاطب ابتداءً من حواسه التي هي مفتاح التدبر والمعرفة، من خلال الكثير من الآيات القرآنية التي تدلل على أسبقية القرآن في هذا المجال.

ومما أشار إليه علماؤنا ولا سيما المفسرين القدامى بما يثبت وقوع مضمون التراسل بين الحواس وإن لم يسموه بذلك المسمى، تفسيرهم للعديد من آياتٍ القرآن الكريم المتعلقة بالحواس واستخدامهم لمضمون التراسل في تفسيرهم للنصوص القرآنية.

=وينظر الرمزية الإيحائية في شعر بدر شاكر السياب ، خيرية عجرش ، وقيس خزاعل، مجلة التراث الأدبي ، السنة الثانية ، العدد السادس، ص١٢٨، ١٢٩، . بحث بعنوان الصورة الفنية في النص الشعرى الحديث (الحر) : نازك الملائكة أنموذجاً د/ رائد وليد جرادات، مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٩، العدد١+٢، سنة ٢٠١٣م ، ص ٥٦٣ . تمهيد في النقد الأدبي الحديث ، غريب، وروز، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ص١٩٢.

١- مقال بعنوان مادة النقد الأدبي الحديث ، إعداد أيمن محمد أبو بكر قسم اللغة العربية كلية اللغات ، جامعة المدينة العالمية شاه علم ماليزيا موقع:

http://mylibrary.mediu.edu.my

فالإمام الرازي (ت٦٠٦) يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [١]: " قوله (ذوقوا) استعارة، وفيه حكمة؛ وهو أن الذوق من جملة الإدراكات فإن المذاق إذ لاقى اللسان يدرك أيضاً حرارته وبرودته وخشونته، وملامسته، كما يدرك سائر أعضائه الحسية، ويدرك أيضاً طعمه ولا يدركه غير اللسان؛ فإن اللسان أتم.....فإن الذوق إدراك لمسى أتم من غيره في الملموسات، فقال: (ذوقوا) إشارة إلى أن إدراكهم بالذوق أتم الإدراكات فيجتمع في العذاب شدته وإيلامه بطول مدته ودوامه، ويكون المدرك لا عذر له يشغله، وإنما هو على أتم ما يكون من الإدراك فيحصل الألم العظيم " [٢].

ويقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [٣] الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، فما وجه صحة إيقاعها عليه؟ قلت: أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد، وما يمس الناس منها، فيقولون: ذاق فلان البؤس والضر، وأذاقه العذاب.

شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع، وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس – ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف؛ فلأنه لما وقع

---

١ – سورة القمر: ٤٨

٢ – التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن على التيمي البكري الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ) ، دار الغد العربي ، القاهرة ،مج ١٦ ، ع ١٤٤ ، ، ص٦٤.

٣ – سورة النحل: ١١٢.

عبارة عما يغشى منهما أو يلابس فكأنه قيل: فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف.

ولهم في نحو هذا طريقان لابد من الإحاطة بهما؛ فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما. أحدهما: أن ينظر فيه إلى المستعار له كما ينظر إليه ههنا. ونحو قول كثير عزة:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... غَلَقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

استعار الرداء للمعروف؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه، ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظراً إلى المستعار،.....، وفيه ترشيح بما يلائم المعروف، وطريقه كلمة غمر. ثم هو يلتقى وقوله تعالى " فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ " بالاستعارة من ترشيح، ولما تدل عليه لفظة اللباس من الشمول والإحاطة.

والثاني: أن ينظر فيه إلى المستعار؛ كقوله:

يُنَـازعني ردائـي عَبْـدُ عمـرٍو رُوَيْدَكَ يا أخا عمرِو بن بكرِ
لِيَ الشطْرُ الذي مَلَكت يميني فَـدُونك فـاعتجر منـه بشَـطْرِ

أراد بردائه سيفه، ثم قال: فاعتجز منه بشطر، فنظر إلى المستعار في لفظ (الاعتجاز)، ولو نظر إليه فيما نحن لقيل: فكساهم لباس الجوع والخوف؛ ولقال كثير: ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكاً،.....، والشاهد استعارة الرداء للسيف، والنظر إلى المشبه لا المشبه به بالتجريد لا الترشيح كما في الاستعارة الأولى "[1].

١- الكشاف للزمخشري ، جـ٢، ص٦٠٦، ص٦٠٧.

والمتأمل لهذه الإشكالية التي فسرها الزمخشري يرى أن علماء البلاغة [١] أخذوا بالتجريد[٢] في هذه الآية مع أنه من الثابت لديهم أن الترشيح أبلغ في الاستعارة، ولكن تأتى البلاغة القرآنية لتبين أن العبرة بالمقام والسياق؛ ولما كان لفظ الإذاقة أبلغ مما سواه في هذا المقام آثره التعبير القرآني؛ فكان له أثره على النفس ودلالته داخل السياق.

إذاً نستطيع القول أن تراسل الحواس ليس ابتكاراً أو اختراعاً للرمزيين كما زعموا؛ لأن التعليل للنصوص وبيان جمالها، وإظهارا حقيقتها، وأدق خصائصها وما تتمتع به من جماليات في التعبير وخصوصيات للمتلقي، وإظهار خلجات النفس ودقائقا، سبق إليه بعض المفسرين لآيات القرآن الكريم وإن لم يتوصلوا إلى التسمية على النحو الذى بيناه.

١- ينظر الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٧٣٩هـ ، تحقيق الدكتور/ عبد القادر حسين ، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ ، صـ٣٤٢، صـ٣٤٣ .، والفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية المتوفي سنة ٧٥١هـ ، حققه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م ، صـ٧٨ ، والإكسير في علم التفسير ، للفقيه الطواقي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي المتوفي سنة ١٢١٦م ، تحقيق الدكتور / عبد القادر حسي ، مكتبة الآداب، القاهرة ، الطبعة الثانية، صـ١٥٠، وعلم البيان، الدكتور عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٩٥، صـ١٨٣، صـ١٨٤ .

٢- التجريد هو: التعبير عن المعنى بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال . تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، تحقيق الدكتور/ عبد القادر حسين ، دار الأوزعي، ١٩٨٩م ،صـ١٧٩.

المبحث الثاني

تراسل الحواس في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف

المطلب الأول

تراسل الحواس في القرآن الكريم.

المطلب الثاني

تراسل الحواس في الحديث الشريف.

المطلب الأول

تراسل الحواس في القرآن الكريم

تراسل الحواس هو أسلوب بلاغي من أساليب القرآن الكريم، ولكتاب الله الأسبقية في عدد من الآيات الكريمات قبل أن نقرأه عند الرمزيين، فقد تحدث علماؤنا من المفسرين والمحدثين عن هذا الأسلوب البلاغي في كتاب الله العزيز، وقد ورد تراسل الحواس في الكثير من الآيات القرآنية والعديد من المواقف؛ فهو كلام الله الذى لا يدانيه في البلاغة أي أسلوب ولا يقرب من بلاغته أي بشر؛ عجز أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بشيء من مثله، وهذا المطلب سيتناول هذه القضية في القرآن الكريم، وبقدر الإمكان أحاول الاستقصاء وعرض العديد من الآيات القرآنية التي ورد بها تراسل الحواس، وسأتناول بعضاً منها بالتوضيح والتحليل مبينة فضل تراسل الحواس على المعنى بدونه، وأثره على النفس، وقيمته البلاغية؛ حتى يكون القارئ على يقين مما يُخبر به، وأريد اثباته من كون الأسلوب القرآني هو الأصل الذى ينبغي أن نستنبط منه القواعد البلاغية التي نسير عليها في دراسة كافة الأساليب. ذلك الأسلوب الذى لم يتقيد بزمان ولم يحده مكان، ولم يقف عند عقول البشر القاصرة، فتح الطريق أمام العقل، ولم يهمل شأن العاطفة والوجدان، جعل الكل يدور في فلك متكامل لخدمة البشرية.

لذا وجدنا تراسل الحواس في القرآن الكريم لم يدور حول حاسة واحدة بل دار في فلك الحواس الخمس للإنسان وإن تفاوتت فيما بينها قلة وكثرة، كما سنتبين ذلك من خلال هذا المبحث.

أولاً تراسل الحواس بين حاستي البصر والسمع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [1]": ففي الآية القرآنية تراسل بين حاستي البصر والسمع ففي الآية لم قال: " ألم تر" مع أن هذه الواقعة وقعت قبل المبعث بزمان طويل؟

الجواب: المراد من الرؤية العلم والتذكير، وهو إشارة إلى أن الخبر متواتراً فكان العلم الحاصل به ضرورياً مساوياً في القوة والجلاء للرؤية؛ ولهذا السبب قال لغيره على سبيل الذم: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [2]. لا يقال: فلم قال: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[3]. ﴾[3].

لأنا نقول: الفرق أن ما لا يتصور إدراكه لا يستعمل فيه إلا العلم لكونه قادراً، وأما الذى يتصور إدراكه كفرار الفيل، فإنه يجوز أن يستعمل فيه الرؤية"[4].

فقد ابتدأت السورة بالاستفهام لجذب الانتباه، ووردت بصيغة المضارع (تر) وهى كانت قبل بعثة الرسول – ﷺ – بزمان طويل، ولكنه لما كان الخبر متواتراً " ويوم تلا الرسول – ﷺ – هذه السورة كان قد بقى بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة، ولو كان النقل ضعيفاً لشافهوه بالتكذيب، فلما لم يكن كذلك علمنا أنه لا سبب للطعن " [5].

---

١ – سورة الفيل: ١

٢ – سورة يس:٣١

٣ – سورة البقرة : ١٠٦

٤ – التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن على التيمي البكري الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ) ، دار الغد العربي ، القاهرة ،مج ١٦ ، ع ١٤٤ ، ص ٦٣٩ .

٥ – المرجع السابق ، ص ٦٤٠ .

والتفت التعبير القرآني من صيغة المضارع "تر" إلى صيغة الماضي "فعل" كل هذا في فلك الاستفهام للدلالة على أن الإخبار بأمرٍ عظيمٍ وجب عليك أيها المخاطب التنبه إليه والحرص على معرفته والإحاطة بمكنوناته؛ لذا تراسلت الحواس فأتى بالفعل " تر" للتنافس بين حاستي السمع والبصر لإظهار دلالة الألفاظ؛ فالمخاطب رسول الله – ﷺ – لم يشاهد الواقعة وإنما سمع عنها، وإذا جعل الشيء المسموع بمنزلة المرئي؛ ففيه دلالة على انتشار الواقعة – واقعة أصحاب الفيل – فالقاصي والداني يعرف بشأنها مما جعله كالمرئي الذى لا سبيل إلى الشك فيه.

وناسبت صفة السمع من لم يشهدها، كما ناسبت صفة الرؤية من شاهدها؛ وما أدرك من جهتين ليس بمنزلة من أدرك من جهة واحدة، وإذا قيل " ليس الخبر كالمعاينة"[١]، فما بالنا إذا كان الخبر والمعاينة معاً.

ومثل هذا الاستعمال للألفاظ يثبت ثراء اللغة ومرونتها، فيصح في اللفظ " تر "حمله على الحقيقة لمن شاهد الواقعة، وأن يكون فيه تراسل حواس لمن لم يشاهدها، وما يحدد هذا هو دلالة السياق المرتبطة بوقائع وحقائق تاريخية موثقة.

- ومن تراسل الحواس بين حاستي البصر والسمع:

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ [٢].

قد آثرت البلاغة القرآنية استعمال حاسة البصر، وللوصول إلى الحواس الدخلة في المعاني لابد من معرفة دلالة السياق وما ينطوي عليه من حقائق؛ فقد ورد في أسباب نزول الآية "....جاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنتا عشر رجلاً...، وقد ذكر الكلبى وغيره: أن الذى قدم بها

١- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت،(قال المفضل يروى أن رسول الله ﷺ أول من قاله. ج٢/ص١٨٢.

٢- سورة الجمعة: ١١

دِحية بن خليفة الكلبى من الشام عند مجاعة وغلاء سعر، وكان معه جميع ما يحتاج الناس من بر ودقيق وغيره، فنزل عند أحجار الزيت، وضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فخرج الناس إلا اثنى عشر رجلاً، وقيل أحد عشر رجلاً"[١].

آثرت البلاغة القرآنية لفظ (رأوا) وحقيقة الأمر السماع، وهنا يظهر جمال التعبير القرآني ومدى تصويره للطباع لبشرية، فجعل السماع مساوٍ للرؤية؛ للدلالة على سرعة الاستجابة في الفعل دون إعمال للعقل؛ فحينما يرى الإنسان ما تمس حاجته إليه تُحجب الرؤية عن العقل لانشغال حاسة البصر بها فيسارع الإنسان إلى التقاطها، أما حاسة السمع فتتطلب مراحل: سمع، فماذا بعدما سمع؟، وإذا وُجد استجابة فما مدى سرعتها؟ كل هذه التساؤلات اختزلتها الرؤية " فكما قيل: ليس الخبر كالمعاينة " فالتراسل هنا تعبير عن حالة اللاشعور التي انتابت النفوس البشرية في السعي إلى متاع الحياة الدنيا فكان وسيلة لنقل مضمون ما بالنفس البشرية دون التصريح به، يقول سامي الدروبي: "ويبرهن علم النفس (اللاشعور) على أن الخلق الفني في جميع مظاهره ليس إلا ظاهرة (بيولوجية)، نفسية وتعويضاً مصعداً"[٢].

وإذا ناسب المقال المقام بلغ الروعة في الجمال والدلالة على المعاني المقصودة منه فترك في النفس أثراً دليله كامن في العقل.

فما أروع وأجمل وأبلغ القرآن في التعبير عن الذات البشرية، ويؤكد ما صيغ من معانٍ التعبير بلفظ (انفضوا) دون (ذهبوا) لما في اللفظ من دلالة على المعنى وهو السرعة في الإقبال بخلاف الذهاب فليس له نفس الأثر على النفس البشرية.

١- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم ، للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ، الطبعة الثانية ، دار الغد ، مج ٧ ، ع ٧٢، ص ٦٧٧٥.

٢- سامي الدروبي: علم النفس والأدب، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، ص ٢٢٩.

ثانياً تراسل الحواس بين حاستي الذوق واللمس:.

وقد ورد تراسل الحواس في القرآن الكريم وذلك بين حاستي الذوق واللمس وكان له جل الأثر في المعنى والتأثير على النفس البشرية والتعبير عن حقائق إنسانية، وورد في آيات كثيرة منها وكان للفظ الإذاقة فيها عظيم الأثر والنصيب الأوفر. قال الله – ﷻ ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [1]

ورد في التعبير القرآني " فأذاقها لباس الجوع والخوف " فجاء التعبير بالذوق عن الإحساس بالعذاب؛ لبيان شدة العذاب؛ فالإنسان حينما يريد أن يستطعم شيئاً فإنه يتذوقه، والتذوق يرجع إلى الحالة النفسية للإنسان، فكلنا يُطعم ولكن من منا يتذوق ويستطعم ما يتناوله، ووفقاً للحالة النفسية للإنسان، ونوعية الطعام يكون مراتب التذوق، وإذا كانت الفائدة تحدث بمجرد تناول الطعام، وفى التذوق زيادة، فإن تذوق العذاب زيادة في الألم.

وإذا كان أثر الجوع والخوف يظهران على الإنسان في هيئة شحوب وجه ونحول جسد قد تسترها الملابس في بعض الأحيان إلا أن الحالة السيئة من أثر العذاب طغت على الهيئة العامة للإنسان فلم تسترها الملابس.

هذا فضلاً عما يعطيه لفظ "اللباس" من شمول وعموم للعذاب.

ومن الملاحظ دوران المعنى في فلك الاستعارة المكنية [2]، وما فيها من تجسيد للجوع والخوف حتى البستهما ملابسا، ولا يخفى ما بها من تأثير في

١- سورة النحل: ١١٢

٢- الاستعارة المكنية هي : التشبيه المضمر في النفس ؛ فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر. بغية الإيضاح، لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق / عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ط ١ ، ٢٠٠٩م ، ج ٣ ، ص ٥١٩ ، ٥٢٠ .

المعاني وأثر في النفوس أضف على هذا تراسل الحواس في لفظ فأذاقها الذى حمل صريح اللفظ والمعنى في الآية القرآنية، ودلالة معنى الكسوة التي دلَ عليها لفظ (اللباس).

ومن الملاحظ إيثار البلاغة القرآنية التعبير بـ (أذاقها) دون فكساها؛ وذلك لما في لفظ الإذاقة ومعناه من التوغل والغوص داخل الجسد بخلاف الكسوة التي تفيد مجرد الملامسة.

– ومن المفارقات البلاغية لتراسل الحواس في القرآن الكريم، تراسل الحواس بين حاستي اللمس والذوق، ومن الرائع ورودها في آيات عدة منها: ما جاء مع العذاب على سبيل التهكم والسخرية في مضمار الحديث عن الكفار وما يلاقون من عقاب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1]، فليس المراد محرد ملامسة العذاب، كذلك لم يكن الغرض من الإذاقة الاستمتاع بالعذاب؛ لأنه كما ورد سابقاً أن لفظ الإذاقة يفيد التعمق وشدة الإحساس بالألم المفرط؛ فكما قيل " إن الجزاء من جنس العمل"[2]؛ فمن أفرط في الإساءة وتمادى كانت عقوبته على قدر افراطه، ومن سعى إلى الخير كان جزاؤه من جنس مسعاه وهذا ما سوف يتضح من الآيات التي ورد فيها ذكر الرحمة مع العذاب وسأعرض لها من خلال هذا المبحث.

وقد ورد في تفسير هذه الآية: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [3]

١– سورة الدخان: ٤٩

٢– خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكرعلي المعروف بابن حجة الحموي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت – ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عصام شقيو، ج٢/ص١٢١

٣ – سورة الدخان : ٤٩ .

على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه، وروى أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها أعز ولا أكرم منى؛ فو الله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً "[١].

فقد استعار الإذاقة للملامسة وتصارعت حاستي الذوق واللمس لإدراك المعنى على سبيل الاستعارة التصريحية، والمتأمل لهذه الاستعارة يجد أمراً غريباً: إنه من كثرة استعمال لفظ الإذاقة في مثل هذا الموضع في القرآن أصبح بمثابة الحقيقة التي تفوق أي مجاز، وبلاغة هذا اللفظ القرآني تثبت لعلماء البلاغة خاصة وللعالم أجمع دقة الألفاظ القرآنية وسياقاتها وفق المعاني، وجمال التعبير عن الحقائق المشاهدة والأمور الغيبية، وعدم اخضاع القرآن الكريم لأى قاعدة بشرية بل يجب أن تستمد منه كافة القواعد الإنسانية لتكون على درجة من الدقة.

وما جعلني أعرض لهذه القضية: أنه تجرى الاستعارات في مثل هذه الآية ويُغفل أمر تراسل الحواس مع إنه واقع وله دلالة في المعاني، هذا فضلاً عن كونه غير مدرج تحت الفنون البلاغية، وكما رأينا بسبب أثره في المعاني تفوقت الاستعارة من أجله.

وبفضله تحقق شرط حسن الاستعارة: "المبالغة في التشبيه مع الإيجاز "[٢].

ومما ورد من تعليق البلاغيين على هذه الاستعارة قول أستاذنا الدكتور عبد القادر حسين رحمه الله بأنها " استعارة تهكمية لاذعة، تنال من صاحبها

١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق يوسف الحمادي ، مكتبة مصر ، الفجالة ، بدون سنة طبع، جـ٤ ، ص١٨٣ .

٢- الإكسير في علم التفسير، للفقيه العالم الطوقي سليمان بن عبد الله القوى بن عبد الكريم الصرصري البغدادي المتوفى سنة ١٢١٦م، تحقيق د / عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٢م ، الطبعة الثانية، ص ١٥٠.

أكثر مما تنال منه الحقيقة المجردة"[١] وإذا كان تراسل الحواس كما رأينا شديد الصلة بالاستعارة المكنية لماذا لا يدرج وفق علم البيان؟

ورود لفظ الإذاقة والمس في آية واحدة:

وننتقل إلى ورود لفظ الإذاقة والمس في آية واحدة من آيات القرآن الكريم في مضمار الحديث عن طبائع البشر في قوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٢]

ومما ورد في تفسير هذه الآية: " الإذاقة: مستعملة في مطلق الإدراك استعارة أو مجازاً.....، والرحمة هنا مطلقة على أثر الرحمة، وهو النعمة والنفع " [٣].

وروى الفخر الرازي في أسباب نزول هذه الآية: " أن الله تعالى سلط القحط على أهل مكة سبع سنين ثم رحمهم، وأنزل الأمطار النافعة على أراضيهم، ثم إنهم أضافوا تلك المنافع الجليلة إلى الأصنام وإلى الأنواء، وعلى التقدير فهو مقابلة النعمة بالكفران،...، المسألة الثانية قوله تعالى: "وإذا أذقنا الناس رحمة" كلام ورد على سبيل المبالغة، والمراد منه إيصال الرحمة إليهم.

واعلم أن رحمة الله لا تذاق بالفم، وإنما تذاق بالعقل، وذلك يدل على أن القول بوجود السعادة الروحانية حق" [٤].

١- التفسير البلاغي الميسر الجزء الخامس والعشرون من القرآن الكريم ، د/ عبد القادر حسين، دار غريب ،٢٠٠١، صـ ١٠٧ .

٢- يونس: ٢١.

٣- تفسير القرآن (التحرير والتنوير) ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون ، جـ١٢ ، ص٦٨،٦٩.

٤- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للإمام محمد الرازي فخر الدين، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ ،١٩٨١م ، الجزء الحادي عشر ، ص ٦٨،٦٩ .

ولنتأمل تفسير الفخر الرازي حينما قال " واعلم أن رحمة لا تذاق بالفم وإنما تذاق بالعقل "، وكذلك تفسير ابن عاشور عبر عنها بأنه استعارة، وجعل الرحمة هنا مطلقة على أثرها وهو النعمة أو المنفعة.

فكلاهما مدرك عدم استخدام اللفظ على حقيقته، وأن طريق معرفة الرحمة هو الإدراك، أو العقل، وأن ما يحس هو أثر الرحمة، وما يترتب عليه من منافع جمة.

فللإذاقة جهتين: جهة الإحساس، وجهة الإدراك بالعقل؛ فيتحد لأداء المعنى الحسيات والمعنويات معاً؛ فيكون أكثر تأثيراً في الوجدان وأسرع وصولاً إلى العقل مما يؤدى إلى تعمق المعنى وتأصيله لدى النفس البشرية.

ولما كانت رحمة الله هي الأصل في الأرض آثرها التعبير القرآني؛ فكانت البلاغة القرآنية في جانب الرحمة باختيار لفظ الإذاقة، وحينما تجتمع الأضداد تتضح المعاني وكما قال الشاعر

فالوجهُ مِثْل الصُّبْحِ مُنْبلجٌ ... والشَّعْر مِثلُ الليلِ مُسْوَدُّ

ضِدانِ لّما استَجمَعا حَسُنا ... والضِدّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِدُّ [1].

ويظهر الطباق [2] بين قوله تعالى "رحمة"، "ضراء". ويؤثر التعبير القرآني الإذاقة في جانب الرحمة والمس في جانب الضر؛ ليظهر لنا مكنونات الألفاظ ولطائف العبارات، ودقة دلالتها؛ فيستخدم الإذاقة بالمعنى المجازي، والمس بمعناه الحقيقي.

ومن جمال ودقة التعبير القرآني إيثاره التعبير بالمس دون اللمس؛ لأن" اللمس يكون باليد خاصة؛ ليعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة،

١- ديوان على بن جبلة ، الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي ،ج١ ،ص٥ .

٢- الطباق هو أحد المحسنات المعنوية التي ترجع إلى تحسين المعنى أولاً وبالذات وإن كانت تفيد تحسين اللفظ أيضاً . خلاصة المعاني ، للحسن بن عثمان المفتي ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، الناشرون العرب ، المملكة العربية السعودية ، دار النصر الإسلامية للطباعة ، القاهرة ، ص ٤٠٥،٤٠٤.

والمس يكون باليد وبالحجر وغير ذلك، ولا يقضي أن يكون باليد خاصة "[١]. فالضر متنوع ومهما اختلفت أنواعه فإنه يدرك بالمس، فبمجرد مسهم الضر لا تتوفر لديهم خاصية الإدراك أو العقل، بخلاف ما سبق في لفظ الإذاقة الذى كان التوصل إليه من جهتين، والمس يتوصل إليه من جهة واحدة لا اعمال للعقل فيها، وأكد هذا المعنى أسباب نزول الآية، ودلالة الآية نفسها؛ فتطالعنا إذا الفجائية. فما كان ما حدث، وما كان بعد إذاقة الرحمة ومس الضر خلاف ما يجب أن يكون من عقل بشرى تميز به الإنسان عن سائر خلق الله – ﷻ– ومما زاد الأمر سوءاً وصفهم بسرعة المكر الذى دلة عليه إذا الفجائية. "وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكر منهم، وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رءوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم"[٢].

وهكذا جمعت الآية القرآنية بين دلالة اللفظين، ووضعت كل لفظ في موضعه، تراسلت الحواس في احداها، ووردت الحاسة على حقيقتها في الأخرى، وأفادت كل منهما معنى مختلف يتفق وما سيقت من أجله الآية، ودل عليه السياق؛ لتوكد لنا الآية أن العبرة من تراسل الحواس ليس مجرد حشدها، بل للتعبير عن معنى مكنون خلف هذه الحواس يسخر العقل لإدراكه، والوصول إليه، فهى تستهدف طاقات النفس البشرية الحسية والمعنوية الظاهرة والمكنونة، تهدف إلى المتلقي والتأثير فيه، وجذبه بصورة كاملة تخاطب الوجدان والعقل؛ لتضعه داخل الصورة يعيشها وكأنه فرد من أفرادها، وجزء من مكوناتها؛ تسوق له العقليات مصحوبة بشواهدها الحسية؛ لتقطع أي طريق أمامه للشك.

١- الفروق اللغوية، لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق / محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ،صـ٣٣٨.

٢- الكشاف للزمخشري ، جـ٢ صـ ٣٥٦ ، مرجع سابق .

وهذا التراسل للحواس في القرآن الكريم يكفى للرد على الرمزيين الذين زعموا أنه من ابتكاراتهم.

فهرس لبعض الآيات القرآنية التي ورد فيها تراسل للحواس:

م	الآيـــــــة	السورة
١.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾	الدخان: ٤٩
٢.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾	آل عمران: ١٨١
٣.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾	يونس: ٥٢
٤.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾	العنكبوت: ٥٥
٥.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾	السجدة: ٢٠
٦.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾	سبأ: ٤٢
٧.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾	الزمر: ٢٤
٨.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	الذاريات: ١٤
٩.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	الأنعام: ٣٠
١٠.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾	الأعراف: ٣٩
١١.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	الأنفال: ٣٥

١٢.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	السجدة: ١٤
١٣.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾	فاطر: ٣٧
١٤.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾	الأحقاف: ٣٤
١٥.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾	القمر: ٣٧
١٦.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾	القمر: ٣٩
١٧.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾	النبأ: ٣٠
١٨.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾	القمر: ٤٨
١٩.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾	آل عمران: ١٠٦
٢٠.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	يونس: ٢١
٢١.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾	هود: ٩
٢٢.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾	الروم: ٣٦
٢٣.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾	الشورى: ٤٨
٢٤.	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾	هود: ١٠

	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾	فصلت: ٥٠
٢٥.	قَالَ تَعَالَى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	الروم: ٤١

المطلب الثاني

نماذج من تراسل الحواس في السنة النبوية

قد تناول المبحث الأول الآيات القرآنية التي احتوت على استعارات دار في فلكها تراسل الحواس وظهر أثره في المعاني لإثبات حقيقة لا مراء فيها وهى أسبقية الأسلوب القرآني في وجود هذه الظاهرة – تراسل الحواس في القرآن الكريم – ولما كانت السنة النبوية هي الأصل الثاني للتشريع وتسير في فلك القرآن الكريم موضحة ومبينة له، وقال المولى – سبحانه وتعالى – في حق نبيه المصطفى – ﷺ – ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾[1]

وجدت أنه من الضروري البحث في الأحاديث النبوية ومحاولة التحقق من وجود هذه الظاهرة من عدمه، وبالاستقصاء لبعض الأحاديث النبوية تبين سيرها على المنهج القرآني وعثرت على تلك الظاهرة – ظاهرة تراسل الحواس – في الأحاديث الشريفة، وفى هذا المبحث سأتناول نماذج نبوية احتوت على تراسل الحواس.

الحديث الأول: قال رسول الله – ﷺ – " ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ من رضى بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا " [2].

وبعد قراءة الحديث النبوي سؤال يطرح نفسه هل للإيمان طعم؟

الطعم عادة يكون باللسان كطعم العسل، وطعم التمر؛ فآلة التذوق هي اللسان، والإيمان لا يتذوق طعمه اللسان فقط بل يدرك أثره الجسد كله؛ فحلاوته نفسية روحية تعم الجد تجري في دمائه؛ هو غذاء للروح يظهر أثره على الجسد.

١- النجم: ٣.

٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج١/ص٦٢

هذا الحديث شبه أثر الإيمان وما يخلفه من سكينة واطمئنان بالمطعومات التي تقوى الجسد وتعينه، ويعم أثرها جميع أجزاء البدن، وما ينشأ عن ذلك من راحة نفسية، ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه، ورشح الاستعارة بقوله – ﷺ – " ذاق ".

ومن الجدير بالذكر التنبيه على ايثار البلاغة النبوية لفظ " ذاق " في طيات الاستعارة المكنية وإسناده إلى حقيقته اللغوية [١] في قوله – صلى الله عليه وسلم– " ذاق طعم " ليؤكد لنا الصراع بين الحقيقة اللغوية، والمجاز اللغوي في آداء المعاني، ويؤكد لنا أن العبرة من تراسل الحواس ليس مجرد حشد للحواس وإنما يهدف إلى معان دقيقة؛ فالمتلقي حينما يسمع أو يقرأ هذا الحديث، يتنبه عقله منذ البداية ويتأمل الألفاظ في محاولة منه لإدراك ما خلفها من معان محاولاً أن يعيش تلك المعاني؛ ليتمكن عقله من الإدراك، ويتمكن الإحساس من جسده ثم يأتي التصديق الذى ليس من ورائه شك بأن من خاض تلك التجربة التي هي: الرضا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا حتى صارت لديه عادة وعبادة نال بها السعادة لما تخلفه من أثر طيب على الجسد والروح معاً؛ فالروح الطيبة يطيب معها الجسد، وبنعمة الرضا تعم السعادة.

<u>الحديث الثاني:</u> قال رسول الله – ﷺ – " ثَلَاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ كما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ "[٢].

١- الحقيقة هي : كل لفظ يستعمل فيما وضع له من غير نقل. https://ar.wikipedia.org/wiki

٢- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير , اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، ، ج١/ص١٤.

فهذا الحديث جعل للإيمان حلاوة: "قوله حلاوة الإيمان فيه استعارة بالكناية؛ وذلك لأن الحلاوة إنما تكون في المطعومات، والإيمان ليس مطعوماً؛ فظهر أن هذا مجازا؛ لأنه شبه الإيمان بنحو العسل، ثم طوى ذكر المشبه به، لأن الاستعارة هي أن يذكر أحد طرفي التشبيه مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، فالمشبه إيمان، والمشبه به عسل، ونحوه، والجهة الجامعة وهو وجه الشبه الذى بينهما، وهو الالتذاذ، وميل القلب، فهذه هي الاستعارة بالكناية، ثم لما ذكر المشبه أضاف إليه ما هو من خواص المشبه به ولوازمه، وهو الحلاوة على سبيل التخيل، وهى استعارة تخيلية، وترشيح للاستعارة"[١].

وهذا التحليل للاستعارة المكنية وإن لم يذكر تراسل الحواس صراحة إلا أنه ألمح إلى المعنى بقوله " لأن الحلاوة إنما تكون في المطعومات، والإيمان ليس مطعوماً "، والتحليل بهذه الطريقة يخدم الاستعارة المكنية لأنه يبرهن على الجهة التي أتت من طريقها الاستعارة ويستشهد على صحة ما وصل إليه من كون هذا اللفظ مجاز طريقه الاستعارة المكنية.

" والحلاوة هنا رمزية تترفع عن الحسى، ولكن التعبير هنا يشرك الحاسة الذوقية لشمول الإيمان كل حواس المؤمن وللدلالة على اختلاط ذرات روحه وكيانه بمعطيات الإيمان...، وهذه الحسية هنا ناجعة في فاعليتها؛ وذلك لتعلق العربي والإنسان عموماً بالحسي وأنسه به، فتشكل الطبقة الحسية حافزاً على الإيمان ومتطلباته، ولكن هذا لا يعنى أن المسلم يحمل سطحية، فهو لا يطلب الإيمان ليتذوق الطعم الحلو؛ فالحلاوة تعني انشراح الصدر، والتلذذ الروحاني بإقامة الطاعات وتحمل المشاق في الدين"[٢].

١- عمدة القاري: شرح صحيح البخاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، جـ١ ، ص٤٩ .

٢- الصورة الفنية في الحديث الشريف ، أحمد ياسون ، دار المكتبي ، سوريا ، ٢٠٠٦م، صـ٥٥٧، ٥٥٨ .

وهكذا ظهر التعريض بظاهرة تراسل الحواس في تناول الحديث بالشرح والتوضيح مما يمكننا بالقول بورود تلك الظاهرة والتعرض لها دون إطلاق المصطلح، ولعل ما جعل الشراح يغفلون عن اطلاق هذا المصطلح كونه يدور في فلك الاستعارة وكونه جزء من متطلبات تأثيرها في النفس البشرية؛ لما تنطوي عليه من مبالغة مقبولة تجعل العقل البشرى يدور في سمائها.

ونتذوق جمال التعبير النبوي في إيثاره اللفظ " وجد" دون أدرك؛ لأنه " يجوز أن يدرك الإنسان الشيء وإن لم يحس به، كالشيء يدركه ببصره ويغفل عنه فلا يعرفه فيقال: إنه لم يحس به. ويقال إنه ليس يحس إذا كان بليداً لا يفطن. وقال أهل اللغة: كل ما شعرت به فقد أحسسته ومعناه أدركته بحسك،...، إن الوجدان في أصل اللغة لما ضاع أو يجرى مجرى الضائع في أن لا يعرف موضعه، وهو على خلاف النشدان. فأخرج على مثاله. يقال: نشدت الضالة إذا طلبتها نشداناً، فإذا وجدتها قلت: وجدتها وجداناً، فلما صار مصدره موافقاً لبناء النشدان استدل على أن وجدت ههنا إنما هو للضالة.

والإدراك قد يكون لما يسبقك، ألا ترى أنك تقول: وجدت الضالة ولا تقول أدركت الضالة، وإنما يقال: أدركت الرجل....، ثم توسع في الإدراك والوجدان فأجريا مجرى واحد فقيل:...، وأدركت بفمي، ووجدت طعمه بفمي " [1].

وباستقصاء المفردات التي تقارب لفظ الإيجاد في المعنى نجد أن الكل ينشد حلاوة الإيمان والحديث يرشدنا إلى طريقها، وكيفية إيجادها، وآثر الحديث لفظ " وجد"؛ لأنه لكل منا ضالته التي ينشدها وإن كانت واحدة " حلاوة الإيمان "؛ فإن الطرق نحو إيجادها متنوعة كل يسلك الطريق الذى يلائم شخصه ويقيم ذاته.

١- الفروق اللغوية، صـ ١٠٤ ،١٠٥ ، مرجع سابق .

ومن الملاحظ أن تراسل الحواس في هذا الحديث الشريف تراسل خفى؛ اتضح من خلال" الألفاظ ودلالتها " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان " هل تعلم الحلاوة من غيرها دون أن تذاق؟

الفرق بين الذوق وإدراك الطعم " أن الذوق ملابسة يحس بها الطعم، وإدراك الطعم يتبن به من ذلك الوجه " [١]؛ إذاً لا يوجد الطعم أو يدرك إلا بعد إطلاق حاسة الذوق، ونحن نقول ذقته فلم أجد له طعماً، وفى الحديث الشريف " وجد حلاوة الإيمان" هل يتوصل إلى تلك الحلاوة دون التذوق؟

فنلحظ الإيجاز [٢] في الألفاظ والدقة في دلالتها والاعتماد على العقل بعد تسليم الحواس؛ ففيه محاصرة للنفس البشرية، ودعوة لإعمال الفكر، والتدبر والتأمل ليس لمجرد التصديق والإيمان بل للاستمتاع بهذا الدين، وانشراح النفس له يؤيد هذا لفظ "حلاوة" دون طعم؛ فبهذا اللفظ قطع الطريق أمام أي إنسان فقد عقله وحواسه، وكانت نقطة البداية لكل من أراد الهداية.

إذاً فتراسل الحواس أثرى المعنى وأثر في النفس والوجدان، وطاف مع الاستعارة المكنية، وتوج معانيها، وأدى إلى اتحاد الحواس مع العقل؛ فما سيقت لأجله أمر خطير يحتاج إلى التأمل والتفكير، وعدم إهمال أي كلمة أو حرف أو فراغ بين الكلمات أو امتداد للأصوات؛ فهو كلام خير الأنام وأبلغ البشر بشهادة القرآن قال عنه رب العباد – سبحانه وتعالى– ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[٣]

وقال عن نفسه: " أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش "[٤].

١- الفروق اللغوية، ص ٣٤٥ ، مرجع سابق.

٢- الإيجاز : إذا نقص التعبير على قدر المعنى . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، للسيد أحمد الهاشمي، تحقيق : د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت، ص١٩٥ .

٣- سورة النجم: ٣ ،٤.

٤- عمدة القاري، مرجع سابق ، ج١٦/ص٦٥.

المبحث الثالث

تراسل الحواس في الشعر العربي، ويتضمن مطلبين.

المطلب الأول

شواهد لتراسل الحواس في الشعر العربي القديم.

المطلب الثاني

موازنة بلاغية لتراسل الحواس في الشعر القديم والحديث.

المطلب الأول

شواهد لتراسل الحواس في الشعر العربي القديم

تناول المبحث الأول تأصيل للقضية، وتناول المبحث الثاني تراسل الحواس في القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذا المبحث سيتناول تراسل الحواس في الشعر العربي القديم؛ فالشعر ديوان العرب؛ وهذا البحث الذى بين أيدينا يؤكد صحة هذه المقولة ويزيد عليها؛ إذ إنه ليس قاصراً على السجل التاريخي فقط وإنما يسجل التطور اللغوي لاستخدام اللفظ ودلالته والحفاظ على مكانته البلاغية على مر العصور، وبيان ما يتمتع به من خصائص دلالية تحمل في طياتها اعجاز بلاغي عند مقارنته باللغات الأخرى، ولما كان الشعر العربي القديم هو منبع اللغة ومصدر التقعيد لها والأساس المتكئ عليه في بيان صواب اللغة من عدمه وجدت أنه عند التأصيل لقضيتي – تراسل الحواس – لابد من الوقوف عليها في الشعر العربي القديم وبيان ما ورد فيه من تراسل للحواس لأقطع الطريق على كل من يزعم أنها من ابتكارات الرمزين وينفى وجودها عند القدامى، والجميع مسلم بوجوده في الشعر الحديث. ولأمانة البحث العلمية وجب التنويه على أن الدراسة السابقة في هذا المجال كانت لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن محمد الوصفي في كتابه " تراسل الحواس في الشعر العربي القديم "[1].

من الواضح استخدام تراسل الحواس كأداة بلاغية في الشعر العربي القديم، وتراسل الحواس يعني التوسع في نقل الألفاظ من مجالات استعمالها القريبة إلى مجالات أخرى مبتكرة،

ومن الضروري التأكيد على أن استخدام الشعراء العرب القدامى لهذه الظاهرة كان عفويا وغير معتمد. ورغم وجود هذه الظاهرة في العصرين

١- تراسل الحواس في الشعر العربي القديم، د/ عبد الرحمن محمد الوصيفى ، مكتبة الآداب، ٢٠٠٢م .

الجاهلي والأموي فقد أغلفها النقاد المحدثون، بل اعتبرها بعضهم من آثار المذهب الرمزي في الغرب، وهذا ما يسعون إليه دائماً تجريد الشعراء العرب من صفة الإبداع، وكأن كل ما على العرب تقليد الغير، وفي هذا طمس للحقيقة التي أرادت هذه الدراسة توضيحها لدحض ما يدعيه بعض الدارسين المحدثين أن هذه الأداة ثمرة من ثمار الرمزية الحديثة وفى هذا المبحث نؤكد أصالتها في الشعر القديم وكونها سراً من أسرار جماله وإبداعه.

فهذا عنترة بن شداد (شاعر جاهلي) يقول:

أُعاتبُ دَهراً لا يَلينُ لناصِح ... وأخفي الجوى في القلب والدَّمعُ فاضحى[1]

وَقَومي معَ الأَيَّام عَوْنٌ على دَمي ... وَقَدْ طلَبوني بالقَنا والصَّفائِحِ

وقد أبعدوني عن حبيبٍ احبُّه ... فأصبحتُ في قفرٍ عن الانس نازح

وقد هانَ عندي بذلُ نفسٍ عزيزة ... ولو فارقتني ما بكتها جوارحي

وهذه الأبيات يشكو فيها شاعرنا الدهر.. وصنوفه.. وما جناه عليه

هذا العشق فجهله يتألم، فهذه عبلة التي تبادله الحب وهذا عمه الذى يجرعه الصد والهجران، فكانت عبلة سهلا ممتنعا يجابه عنترة لأجله الأهوال، والصعاب، ويبكي مرارة الفراق فتسيل مشاعره بكلمات عذبة رقيقة جذابة تعبر عن نفس مجروحة تستعذب الهلاك بعد اليأس من اللقاء؛ فيستهل الشاعر بيته الرابع ب(قد) الداخلة على الفعل الماضي لإفادة تأكيد وقوع الفعل؛ فالنفس وإن كانت عزيزة إلا أن بذلها لدى شاعرنا شيء مؤكد بدلالة السياق [2]، فقد حدث

١- سيرة عنترة ، مخطوط بالمكتبة العلمية الحديثة ، المؤلف مجهول ، الجزء الأول، ص ١٤٠.

٢- السياق هو: ضمّ الوحدات اللغوية بعضها إلى بعض، وإحكام شدّ أجزائها إن اتّصالاً، وإن تتابعاً، وما تعكسه من دلالة في النصّ، أو الخطاب. بحث أثر إغفال السياق فى الابتعاد عن الدلالة المرادة فى الخطاب القرآني، الشريفي، رحيم كريم علي، المحني، حسين علي هادي (م. مشارك) ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة – العراق، مج١٠, ع٣٥ ، لسنة ٢٠١٥ م .

التوافق بين الدهر وقومه كل يطلب دمه، وفرقوا بينه وبين من أحب، وأنى له أن يعاتب الدهر وهو لا يستجيب لناصح وأنى له أن يخفي جوى قلبه ودموع عيونه تفضحه كل هذا جعل من نفسه العزيزة شيء هين يسهل بذله. ولننظر إلى جمال عبارته (والدمع فاضحي) وقوله (ولو فارقتني ما بكتها جوارحي) والتراسل فيهما؛ فشخص الدمع وجعله ممن يفضح بكلامه، وفى قوله: (ما بكتها جوارحي) استفهاماً أليست آلة البكاء هي العين؟ وكأن هذه الأسلوب ينم عن شيء يكمن في النفس البشرية؛ فمهما تخيل الإنسان أن نفسه هينة عليه يمكنه بذلها إلا أنه يظل في الأعماق شيء عالق يعز على الإنسان بذله؛ فالألفاظ تقول وصريح العبارة يقرر أشياء، ويظهر اللفظ الثائر الذى يلمح إلى معان كامنة داخل النفس البشرية متمثلاً في أسلوب بلاغي غاية في الروعة وهو الأسلوب الاستعاري حاملاً في طياته تراسل الحواس لتأدية المعنى على أكمل وجه، كل هذا يدور في فلك (لو) وهى حرف امتناع لامتناع [1] و(ما بكتها جوارحي) فلو حدث هذا الأمر وبذلت نفسي لم تبكي عليها جوارحي؛ فمازالت نفس عنترة عزيزة عليه لأجل هذا لم يستخدم آلة البكاء الحقيقية (العين) وإنما دار في فلكها أليست الجوارح جزء من الإنسان؟ ولو استخدمنا الأسلوب دون تراسل لكان أسلوباً سطحياً لا علاقة له بخطاب النفس ولا بما يدور في الأعماق.

وقد يرمى الشاعر إلى أنه تهون نفسه عليه، ولو فارقت جسده ما بكتها جوارحه؛ فقد بذلت من أجل المحبوبة؛ لذا لا مكان لبكاء الجوارح، وبهذا نفى البكاء عن كافة الجوارح ونفي الكل يفيد نفي الجزء، ويظل التراسل عالقاً بالمعنى لأن الجوارح لا تبكي بل العين هي الباكية. وإن كان التوجيه الأول للمعاني هو الأقرب إلى النفس والأقوى في التأثير والأصدق في التعبير

١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر - دمشق - ١٩٨٥، الطبعة: السادسة، ج١/ص٣٤٦.

وهذا أبو ذؤيب الهذلي (شاعر مخضرم) يقول:

وإن حديثا منك لو تبذلينه ... جنى النحل في ألبان عوذ مطافل [1]

يصف الشاعر تمنع محبوبته، وصدها وعدم استجابتها له وهى من الصفات المحمودة في المرأة ليس قديماً فقط بل في كل العصور مستعيناً ب(لو) وهى حرف امتناع لامتناع يصف من خلاله حديثاً يتمناه يرسم صورة له في مخيلته، فلو تبذل الحديث لكان جنى النحل في ألبان عوذ مطافل، فجعل الحديث مما يبذل والبذل إنما يكون للجود والعطاء والنطق يكون للكلام (للحديث) فالبذل بمعنى الجود والعطاء والنطق: نطَق الشّخصُ بكذا: لفظ، تكلَّم بصوت وحروف تُعرف بها المعاني [2]، والمتعارف أن آلة العطاء هي تلك اليد الظاهرة.

آثر الشاعر أن يشخص حديث تلك المحبوبة في أسلوب يرتدى زي الاستعارة المكنية؛ فشبه الحديث بالعطاء وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو البذل على طريق تراسل الحواس والتراسل هنا خفى؛ فلم يصرح باليد وإنما رمز إليها بالبذل، ويظهر أثر التراسل في إثراء المعنى وكأن مجرد الحديث من المحبوبة عطاء وبذل، وفيه ما يدل على عفتها وصيانتها لكرامتها فهو لا يطمح منها ولا يأمل في أكثر من الكلام. ويتابع الشاعر صورته متكئاً على التشبيه الذى يطوي في عباءته الاستعارة فيشبه حديثها بحلاوة العسل

١- العوذ: جمع عائذ، وهى القريبة العهد بالنتاج من الظباء والابل والخيل، فإذا تجاوزت عشرة أيام من يوم نتاجها أو خمسة عشر فهى مطفل.ينظر المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، السرى الرفا ، تحقيق مصباح غلاونجي ، وماجد حسن الذهبي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م ، الجزء الأول ص١٥٣، وجمهرة اللغة ، لأبى بكر محمد بن دريد الأزدي المتوفي ٣٢١هـ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية – بيروت، الجزء الثانى ص ٢٨٨، وشرح شافية ابن الحاجب، الجزء الرابع ص ١٤٥.

٢- معجم الفروق اللغوية ، ص ٢١٢ . مرجع سابق .

المشوب باللبن وليس أي لبن وإنما لبن أبكار لأن لبن الأبكار أطيب الألبان، وهو لبنها لأول بطن وضعت. قال: وكذلك العسل فإن أطيبه ما كاد من بكر النحل. قال: وحدثني كردين قال: كتب الحجاج إلى عامله على فارس: ابعث إلي بعسل من عسل خلار وهو: اسم موضع، من النحل الأبكار، من الدستفشار، الذي لم تمسه النار حلاوة العسل مشوبا باللبن[١]

ولنتأمل الاستعارة الدائرة في فلك التشبيه في قوله (جنى النحل)؛ فالجني لا يكون للنحل وإنما للثمر المجتني وما يقال للعسل قطف العسل على سبيل الاستعارة المكنية فحذف المشبه به وهو قطف العسل وأتى بشئ من لوازمه وهو النحل، وهكذا تعاضد البيان العربي ما بين استعارة وتشبيه لإثبات عفة وطهارة ونقاء محبوبته وآثر تغليف استعارته بتراسل الحواس ليبين أنه على فرض لو تكرمت محبوبته ببذل مجرد الكلام لكان هذا قمة العطاء، فهى لا تعطى القليل، ولو أعطت أقل من القليل لكفى لكنها لا تعطى أي شيء لذا آثر الحرف لو، واكان للتراسل دوره في تأكيد المعنى؛ فبدونه لاعتقد البعض إمكانية العطاء.

ونرى عبيد الله بن قيس الرقيات (شاعر أموي) يقول:

لا أشم الريحان إلا بعيني ...كرما، إنما تشم الكلاب

فقد قيل في معنى هذا البيت أنه أراد أن "يعرض بعبد الملك لأنه كان متغير الفم يؤذيه رائحته، فكان في يده أبداً ريحان أو تفاحة، أو طيب

١- ينظر المحكم والمحيط الأعظم ، لأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيدة المرسى المعروف بابن سيدة ، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م، الجزء الخامس ص ١٦٧، وينظر أيضاً، عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، مصدر الكتاب: موقع الوراق ،http://www.alwarraq.com ، الجزء الأول ، ص ٣٤٨.

يشمه".[١] وفيه كناية [٢]عن النساء؛ فقد كانت العرب تكني عن النساء بالريحان؛ "فهو يكنى عن النساء بالريحان والمعنى أقنع من النساء بالنظر إليهن"[٣]. وفى كلا المعنيين تراسل للحواس بين حاستي البصر والشم.

يستهل شاعرنا بيته بأسلوب قصري[٤] معتمداً فيه على النفي والاستثناء متوجاً بتراسل الحواس فهو لا يشم الريحان بأنفه كعادة البشر وإنما يشمه بعينه. وهل العين حاسة الشم، ومن هنا تبرز جمال الاستعارة المكنية الملفوفة بعباءة التراسل المؤكدة بأسلوب القصر في التعبير بدقة عن فروسية شاعرنا في صده هوى نفسه، وعفته، والتعريض بغير العفيف من الرجال (بالفاحش من الرجال)، فقد تصارعت حستي الشم والبصر لإثبات عفة الشاعر؛ فإذا عرضت عليه تلك المرأة وكانت سهلة المنال فإنه يكتفى بالنظر فقط ولم يفعل مثلما يفعل الفاحش من الرجال وهذا من باب التكريم لذاته؛ فإنه يصون نفسه

١- الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني تحقيق: علي مهنا وسمير جابر ، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، ج١٧/ص٢٧٥

٢- الكناية: لفظ أريد به لزم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ .بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، تحقيق : الشيخ عبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٩م ، الجزء ٣ ص ٥٣٨، التصوير البياني دارسة تحليله لمسائل البيان ، د، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٣ م، ص٣٧٤.

٣- المنتخب من كنايات الأدباء وارشادات البلغاء ، للقاضي أبى العباس أحمد بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان ، صفحة ١١ وينظر أيضاً شرح نهج البلاغة، لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى : ٦٥٦هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الجزء الخامس ص ٢٠

٤- القصر: تخصيص شيء بشيء بطريق معهود .خلاصة المعاني المعاني ، للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي(ت١٠٥٩) تحقيق د/ عبد القادر حسين ، الناشرون العرب ، ص٢١٩.

ويصون غيره عن الفاحشة، فالتراسل أعطى قيمة دلالية لأسلوب القصر وخيال سمحت به الصورة، كما عبر عن مكنون نفسي لدى الشاعر، فهو معتز بنفسه مكرم لها محباً للآخرين لا يلحق الأذى بأحد.

– استفاض الشعراء في الحديث عن العيون، وخاصة في مضمار الغزل، فكان للتراسل بين العين والصوت نصيبٌ كبير، قد نجد هذه البدايات عند بعض الشعراء الجاهليين كعنترةَ العبسي عندما شكا له حصانه الألم بالنظرات والزفرات، دون أن يستطيع الكلام، فالدموع تحكي مع الصهيل لغة يفهمها فارسه عنترة قائلاً:

فازور من وقع القنا بلبانه ... وشكا إليّ بعَبرة وتحمحمِ[1]

لوكان يدري ما المحاورةُ اشتكى ... وَلكَانَ لو علم الكلامَ مكلّمي

جعل عنترة من التراسل وسيلة لشكوى الفرس التي بلغت مداها لما خاض من معارك وصدام وإصابات أثناء تلك المعارك، هذا الحيوان الأعجمي لم تقتصر شكواه على الصهيل فحسب، بل جعل للدموع هي الأخرى نصيبا من هذه الشكوى، فاستنفر حاستي السمع والبصر عند المتلقي لتترجم مشاعر فرسه، فقد جعل من هذا الحيوان الأعجمي كأنا له أحاسيس ومشاعر عبر عنها شاعرنا بصورة استعارية متكئة على الخيال متنوعة في الإبداع، فنرى الصراع الدائر بين الحصان وعنترة والحكم في هذا الصراع هو المتلقي.لكن الأمر تطور عند الشعراء اللاحقين، فهذا

جميل بن معمر (شاعر أموي):

لعمري ما استودعت سري وسرها... سوانا، حذارا أن تشيع السرائر

ولا خاطبتها مقلتاي بنظرة ... فتعلم بجوانا العيون النواظر[2]

١– ديوان عنترة المكتبة الثقافية ، بيروت ، ص٢٩،٣٠.

٢– ديوان جميل بثينة، لجميل بن معمر ، دار صادر – بيروت ، ص٦٧ .

هذا جميل بثينة يستخدم العين استخداماً دقيقاً في غرض الغزل، فيؤثر أسلوب القسم في حرصه ألاّ يعرف أحد بسرهما، وتبدو قمة التعبير الجمالي في تراسل الحواس بين العين واللسان؛ فقد نفى الكلام عن العين، وكأنها من تدير الحوار، كما جعل للعيون لغة متبادلة؛ فهو يخشى أن تفضحه عينه وتنطق بما يجيش في صدره من عواطف فياضة، ويخشى من عيون الطرف الآخر (العواذل) أن يفهموا لغة هذا العين، ويفهمون ما تنطق به. فنراه لا ينظر إلى محبوبته خوفاً من إفشاء السر، بل إن الآخرين أيضاً عيونهم تسمع حديث مقلتيه.

من الملاحظ تمتع الاستعارة المكنية بنصيب وافر من هذا الفن – تراسل الحواس – وقد كان للتشخيص دوره في العديد مه هذه الاستعارات فهو يضفي على الجماد صفة الأحياء، وقد علق عليه الشيخ سيد قطب بقوله:" وهذا لون من ألوان التصوير يمكن أن نسميه (التشخيص) يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية. هذه الحياة قد ترتقى فتصبح حياة إنسانية، تشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية تشارك بها الآدميين، وتأخذ منهم وتعطي، وتتبدى لهم في شتى الملابسات؛ وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين، أو يتليس به الحس؛ فيأنسون بهذا الوجود أو يرهبونه"[١]

ويقول جميل عن العيون وأثرها:

رمتني بسهمٍ ريشةُ الكحلُ لم يضر... ظواهرَ جلدي، فهو في القلب جارحي[٢]

هذا البيت ينطوي على استعارة جعل فيها العين تصيب فتغرس سهمها في القلب فتحولت العين إلى يد ترمي مدربة على الرماية " وعبن المحبوبة هنا تحولت إلى يدٍ مدربة على إطلاق الأسهم، وهذا الأسهم من نوع خاص، فهى

١- التصوير الفني في القرآن ،الشيخ سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة ١٦، سنة الطبع ٢٠٠٢م، ص٧٣ .

٢- ديوان جميل بن معمر ، ص٣٠ مرجع سابق .

أسهم من الجمال لا تصيب الجلد ولكنها تستقر في القلب. والبيت بهذا الشكل يعطينا تكثيفاً دلالياً رائعاً، فالشاعر لم يسترسل في وصف جمال محبوبته، ولم يقف طويلاً أمام حسنها الظاهر إلا أنه أعطانا كل ذلك وأكثر منه عندما جعل العين يداً والنظرات سهاماً تستقر في قلبه استقراراً جارحاً، فهذا الجمال لا طاقة للشاعر به ولا سيطر له عليه فهو يُطلق بقدرة جمالية من محبوبته وهو مستقبل لنظرات عينيها لا يملك الدفاع عن قلبه لفرط جمال المحبوبة"[١]

وقال الحيص بيص[٢]

العَيْنُ تُبْدي الذي في قَلْبِ صاحِبِها ... مِن الشَّناءَةِ أوْ حُبٍّ إذا كانا [٣]

فالعينُ تَنْطِقُ والأفْواهُ صامِتَةٌ ... حتى تَرى منْ ضَميرِ القلبِ تِبْيانا

إنَّ البَغيضَ لهُ عينٌ تُكَشِّفُهُ ... لا تَسْتطيعُ لما في القلْبِ كِتْمانا

هذا أبو الفوارس يتكئ على حاسة البصر؛ ليجعل العين مرآة للقلب وانعكاس صادق لكل ما ينطوي عليه من بغض أو حب، وقد اعتمد الشاعر على أسلوب التقسيم فاستوفى كافة الأقسام، ولا يقف على كون العين صورة صامته فيضفى عليها الحياة ويحركها من صمتها؛ يجعل لها صوتاً، وهنا تظهر مكانة تراسل الحواس وما يضفيه على الأسلوب من حياة تضيف إلى المعنى معان وتجعل من الصمت كلاماً؛ فالعين بمثابة مرآة صافية لكل ما يعن للجسد ومن شدة صفائها نطقت في وقت عجزت الأفواه عن النطق وأثرت

١- تراسل الحواس في الشعر العربي القديم ،د/عبد الرحمن محمد الوصيف ،ص١٥١ ، مرجع سابق .

٢- الحيص بيص هو: أبو الفوارس، سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي، الملقب شهاب الدين، أديب وشاعر وفقيه مشهور من أهل بغداد، كان من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم ، وهو شاعر عباسي . الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، الجزء السابع عشر ص ٢٧٤.

٣- الخصائص ، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار ،عالم الكتب – بيروت، ج١/ص٢٤٧.

الصمت لعدم قدرتها على التعبير بما يكمن داخل الصدر إلا بدليل أو بيان يسوقه إليها القلب، وقد قال رسول الله – ﷺ " استفت قلبك يفتيك "؛ هذا البيان كون البغيض له عين تأبى إلا أن تفضحه وتكشف ما بداخله، ومهما حاول القلب لا يستطيع التستر على صاحبه.

أثر الشاعر الاستعارة المكنية؛ فالعين ليس من خواصها النطق وإنما هو وظيفة اللسان، وأتى بالعين للمبالغة في بيان أثر كل ما يضمر القلب أياً كان؛ فهي تنطق بما يعجز عنه اللسان، وكما قيل " وكل لبيب بالإشارة يفهم ".

وكذلك قول بشار بن برد:

وكأنَّ رَجْعَ حَدِيثِها ... قِطَعُ الرياضِ كُسِينَ زَهْرا [1]

هذا بشار بن برد على قمة الهرم في التصوير، وهو الضرير الأعمى، إذا ما قيس إلى المبصرين يأبى التنازل عن مكانته التصويرية فيراسل بين حاستي السمع والبصر، فالتراسل اختراق للمألوف وسبيل إلى التخييل؛ فصدى حديثها يشبه جمال الرياض المبهج الذى اكتسي بالزهر، وكأن الشاعر يتذكر ألمه ويريد التفوق على نفسه؛ فيشبه ما يدرك بالأذن بما يدرك بالبصر وهو المبصر الذى لا يبصر، فقد خلع حاسة السمع على البصر، وكما نعلم فالتشبيه إلحاق الأدنى بالأعلى، فهو يتحدى مرضه ويجعل منه مجالاً للنبوغ والتفوق، بحق صور ما لا يمكن للمبصر تصويره، ولعل هذا ما تنبه إليه القدماء من وجود علاقة بين البصر والعقل فقال الصفدي في نكت الهيمان:" قل أن وجد أعمى بليداً، ولا يُرى أعمى إلا وهو ذكي.... والسبب الذى أراه في ذلك أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه، ولا يعود متشبعاً بما يراه، ونحن نرى

١– ديوان بشار بن برد، تحقيق حسين حمودي ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، الجزء الثاني ، ص٣٩٤ .

الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئاً أغمض عينيه وفكر، فيقع على ما شرد من حافظته، وفى المثل أحفظ من العميان " [١].

فنرى بشار قد جعل من أصداء الحديث قطع رياض وليست أي رياض بل التي اكتسيت بالزهر وكأنه يصور الأثر النفسي وما يعقب سماع صوت من يحب؛ ففيه إفراغ للشحنات النفسية التي هيمنت على خياله؛ فالشاعر المبدع يستطيع أن ينقل الصورة إلى العقل وإعادتها ثانية في صورة شعرية فنية منحرفة عن الواقع ولكنها غير خارجة عن إطار الحواس إلا في الوظيفة الخاصة بتلك الحاسة ٠ وتعد الصورة أعظم افراز لنشاط الخيال ولهذا يرى ابن جني أن الاتساع في المعاني من أهم عناصر الصورة الفنية التي هي المجاز عنده، ومن أبرز أبعادها النفسية، ولعل هذا ما يبرهن على مقدار قيمة التخيل عند القدامى في التعبير غير المباشر الذى يعتمد على الإثارة الوجدانية والاحتكام إلى الذوق السليم والشعور النبيل.[٢]

وهذا البيت لبشار يجعل الباحث يدرج فن تراسل الحواس ضمن مباحث علم البيان بصفة عامة، وإن كانت معظم النماذج التي تناولتها سابقاً بالتحليل، فقد أتى فيها التراسل متوجاً للاستعارة المكنية مما يجعل القارئ لا ينتبه إليه كفن مستقل، وإنما هو يحقق بلاغة الاستعارة لما يتضمنه من مبالغة في الخيال تتعاضد فيها الحواس لإخراج ما يكمن في النفس بغرض التأثير في المخاطب.

وقد جعل الشريف الرضي للقلب عيوناً تنظر حينما قال:

١- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠ م، ط ١،ص ٨٣.

٢- رسالة ماجستير بعنوان تراسل الحواس في شعر العميان في العصر العباسي بشار بن برد أنموذجاً ، غادة خلدون أبو رمان ، اشراف : د. نجود عطا الله الحوامدة ،جامعة جرش كلية الآداب بالأردن ، ٢٠١٦م ، ص٨ .

إذا توجّسَ كانَ القلْبُ نَاظِرهُ ... والقلبُ يَنظُرُ مالا يَنظُرُ البَصَرُ[١]

فيطالعنا الشريف الرضى بالقلب المبصر، ويجعل قوة الإبصار في القلب تفوق قوة الإبصار الحقيقية، وكل هذه نظرات صائبة في النفس، يعبر عنها الشاعر بالوجدان، فهي تخطت المنطق وتحدت الصعاب وتجاوزت الحدود، ولا غرابة أن يكون لشاعرنا الوجداني مثل هذه النظرات الصائبة في النفوس.

ويوجد نماذج كثيرة تدل على أصالة تراسل الحواس في الموروث العربي، وقد تناوله العديد من الشعراء على مر العصور كما بينا سابقاً.

وما زالت الأوساط الثقافية بين الناس تردّد قول جرير ومن بعده بشار بن برد

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيينَ قتلانا[٢]

هذا البيت لجرير ويعرف بأنه أغزل بيت قالته العرب.

هذا جرير يشخص العيون على سبيل الاستعارة المكنية ويجعلها تقتل، ومن البين الإيجاز في العبارة والمبالغة في المعاني، ومساسها بشغاف القلوب؛ فجعل العين والسلاح الفتاك على قدم المساوة، فليس هناك فارق بين العين وأسلحة القتال، ولم تكن المساوة بأي أسلحة بل الأسلحة الفتاكة التي لا يرجى منها نجاة، فتلك العيون نفذت سهامها في القلب فلم يستطع منه فرارا وقد قيل:" القلب بيت والعين بابه....، العين وحدها جنت لكن الجسد كله عوقب " هذا التراسل كان في العصر الأموي، حقاً إن الشعر ديوان العرب الذى لا يقتصر على الاحتفاظ بأيام العرب وأخبارها وعاداتها وتقاليدها بل يحفظ للغة خصائصها ومميزاتها وإبداعاتها.

١- ديوان الشريف الرضي، دار صادر – بيروت، ١٣٨٠هـ١٩٩١م، الجزء الأول، ص ٥٢٧.

٢- الأغاني ج٣- ص١٥٩- مرجع سابق .

وقال بشار:

يا قَومِ أَذني لِبَعضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ ... وَالأُذنُ تَعشَقُ قَبلَ العَينِ أَحيانا[1]

هذه الأبيات تردّدت على ألسنة الذائقة الأدبية، وعلى ألسنة العشاق تحديداً لما فيهما من براعة في استخدام الصورة الفنية التي اعتمدت على الحواس (تشخيص الأذن والعين) والانتصار للأذن ولا غرابة أن يصدر مثل هذا الحديث من بشار؛ فهو إن فقد نور عينيه لم يفقد الوجدان والمشاعر، نراه ينتصر لإنسانيته ويعلل ما يدعيه بعلة منطقية من وجهة نظره، وهو بهذا يبين طريقته في الحياة وأنه اعتمد على حاسة السمع لإدراك كل ما يدور حوله وما يجول بخواطره وما يستقر في وجدانه من أحاسيس ومشاعر، ويذكر (إبراهيم المازني): "وقد سئل بشار كيف يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره، وهو لم ير الدنيا قط ولا شيئاً فيها، فأجاب بما نقلنا من أن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بالمرئيات، ولو شاء لقال إن اللغة ليست أكثر من أداة للتعبير عن المعاني والخواطر والخوالج، المرء يتلقاها عن الجماعة التي هو فيها، ويتلقى مع اللغة قوالبها وتشبيهاتها ومجاراتها واستعاراتها وأسلوبها في التشبيه"[2]

إذن ظاهرة تراسل الحواس قائمة في الشعر العربي القديم، وإن تفاوت استخدامها بين حقبة زمنية وأخرى، وبين شاعر وآخر؛ تبعاً لعوامل ثقافية وأخرى تتمثّل في قدرة الشاعر على صياغة رؤيته الفنية بإبداع وتفوق. فقد ورد عن النقاد قولهم: "إن أعذب الشعر أكذبه"، فترانا نقف أمام البيتين السابقين – بيت جرير وبيت بشار – دون إعمال المنطق أو تقصي الحقائق متأملين لعذوبة هذين البيتين ونصطدم بالمفارقات التي تأتى من قول بعض نقاد الأدب

---

١ – ديوان بشار بن برد ج١/ص١٠٥٧– مرجع سابق .

٢ – إبراهيم عبد القادر المازني، بشار بن برد، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ،ص ٢٧ – ٢٨.

الحديث بأنه: لاوجود للرمزية في الشعر العربي القديم، وأن الشعراء القدامى لم يعرفوها أبداً.

بعد هذه النماذج المعروضة والتي تعد غيض من فيض، أنى لهم بإطلاق مثل هذه الدعوة؟ فمثل هذه الدراسة تدحض تلك الأقوال وتثبت الحق وتنسبه لأهله وتضعه موضعه الصحيح؛ حتى لا يُفترى على لغة الإعجاز وتتهم بالتقصير، فكل ما يهتم بالذات البشرية وخلجات النفس الإنسانية كان السبق فيه للغة القرآن الكريم هذه اللغة التي خاطبت البشرية.

المطلب الثاني

موازنة بلاغية لتراسل الحواس قديماً وحديثاً

في المطلب السابق من ذات المبحث تم عرض شواهد شعرية لتراسل الحواس في الشعر العربي القديم، وحتى تتم الفائدة وتنضج الثمرة المرجوة من هذا البحث سنعرض لموازنة شعرية بين الشعراء الذين منحوا شعرهم تراسل الحواس مع الاتفاق في نوعية التراسل، وليكون القارئ على بينة وكامل اقتناع بما يعود من فائدة على النص الذى مُنح هذا الفن؛ سنعقد موازنة بين شاعرين اتفقا في المعني؛ أحدهما منح شعره تراسل الحواس، والآخر حرم شعره من هذا الفن، مستعينة على ذلك ببعض أبيات لشعراء من العصر الحديث؛ حتى نؤكد صلاحية هذا الفن على مر العصور الأدبية.

أولاً: موازنة لتراسل الحواس بين بعض الشعراء:

اتفق جرير والحصري القيرواني وأحمد شوقي في منح شعرهم تراسل الحواس بين حاستي البصر واللمس

١- نري جرير يقول في شعره:

إنَّ العُيونَ الَّتي في طَرفِها حَوَرٌ ... قَتَلنَنا ثُمَّ لَم يُحيينَ قَتلانا

يصرعن ذا اللّبّ حتى لا حراك به ... وهن أضعفُ خلق اللّه إنساناً[١].

جعل جرير من جملة فعل العيون القتل بسبب ما فيها من حور.

٢- واتفق أبو على بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني الضرير مع جرير في العين القاتلة فقال:

يا من سفكت عيناه دمى ... وعلى خديه تـوردُهُ

خداك قد اعترفا بدمى ... فإلى ما طرفك يجحدُهُ[٢]

١- سبق تخريجه ص: ٣٩٦٨.

٢- الكشكول : محمد بهاء الدين بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، المحقق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م ، ج ١ ، ص ٢١١.

٣- وكذلك كان للعيون القاتلة دورها في شعر أمير الشعراء أحمد شوقي فاتفق معهما قائلاً:

أُداري العيونَ الفاتراتِ السَّواجيا ...أشكو إليها كَيْدَ إنسانِها لِيا

قتلنَ ومنيـــن القتيلَ بـــألسُـــــن ... من السحر يبدلنَ المنايا أمانيا[١]

هكذا منح الشعراء الأسلوب تراسل الحواس بين حاستي البصر واللمس؛ فالقتل لا يكون بالعين وإنما باليد؛ فجعل العيون قاتلة: الشاعر الأموي جرير جعلها قاتلة له بجمالها الحسي البراق ذلك القتل الذى ليس وراءه رجاء في الحياة (إِنَّ الـعُيونَ الَّـتي فـي طَرفِها حَوَر)، والشاعر الأندلسي الحصري القيرواني جعل هذه العيون سفكت الدماء قائلاً:(يا من سفكت عيناه دمى) ويجعل الخد ليس شاهداً فحسب بل معترفاً بهذا الذنب، أما شوقي شاعر العصر الحديث فجعلها تقتل بسحر تحقق الأماني ووصف تلك العيون بأنها عيون فاترات سود (أُداري العيونَ الفاتراتِ السَّواجيا).

بين الشعراء:

اتفق الشعراء الثلاثة على أن العيون قاتلة، كما اتفقوا أيضاً على قسوتها في القتل؛ مما جعلهم يمنحون الأسلوب تراسل الحواس؛ فالقتل بالعين يعكس الأثر في القلب؛ فالغضب لا يكون إلا ممن تعمقت محبته، ونظرة العين لا تؤثر إلا فيمن بينهما حب أو كره متبادل؛ فالعين مرآة للنفس البشرية تنطق بما لا يستطيع اللسان قوله، وتصنع في القلوب ما لا يصنعه الكلام، وتترك في النفس أثراً قد يحي الإنسان أو يجعله يغادر الزمان والمكان ويظل حائراً في الأوهام ما بين أمل وفقدان، ولو عبر الشعراء بدون تراسل للحواس وجعلوا القتل باليد لما كان للأسلوب هذا الأثر الجمالي الأخاذ.

١- ديوان أحمد شوقي، تحقيق د/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان، بدون سنة ، ج١/ص٣٠٥.

- ومن الملاحظ أن جرير، والحصري القيرواني، وشوقي كانوا فرسان رهان لا تسطيع المفاضلة بينهم؛ فإذا كان شوقي قد أضاف في المعنى؛ فجعل القتل يحمل الأماني، واتخذ الحصري من الخدود اعترافاً، فإن جرير يحسب له السبق في أداء المعني هذا فضلاً عن الوصف الرائع للعيون التي بدر منها القتل مما جعله قتلاً لا أمل في حياة بعده، فكل شاعر من الشعراء الثلاثة عرض رأيه وتجربته مع العيون القاتلة في براعة تجعل القارئ يقف حائراً أيهما أفضل؟

بين لغة العيون عند شوقي والحيص بيص الشاعر العباسي:

١- قال الحيص بيص:

فالعينُ تَنْطِقُ والأفْواهُ صامِتَةٌ ... حتى تَرى منْ ضَميرِ القلبِ تِبْيانا(١)

٢- ولنستمع في ذلك إلى أمير الشعراء أحمد شوقي وما فهمه من لغة العيون عندما تعطلت لغة الكلام:

وتعطَّلَتْ لغةُ الكلامِ وخاطبَتْ... عَيْنَيَّ فِي لُغَةِ الهَوى عيناكِ(٢)

فكان التراسل بين العين (البصر) والكلام فأصبحت لغة العين لغة معتمدة وأجازها الشاعران فهي وسيلة للكلام وإيصال ما بالوجدان إلى من يحب دون تدخل الوشاة أو تأويل الكلام، أو حين العجز عن الكلام وتعطل لغة البيان، وقد تستخدم لغة العين في الشفاء من الأمراض وهذا ما أشار إليه شوقي في قوله:

وكلَّمْنَ بالأَلحاظِ مَرْضَى كَليلة ... فكانت صحاحاً في القلوب مواضيا(٣)

ثانياً: موازنة بين التراسل في الشعر وانعدامه:

وبعد أن عرضت الموازنة بين بعض الشعراء الذين اعتمدوا على فن التراسل في شعرهم، وأثر التراسل في المعاني، وأثره على النفس وما يُحدثه من تفاعل

١- سبق تخريجه ص ٣٩٦٥.

٢- ديوان أحمد شوقي، مرجع سابق، ج١، ص٣٢٦.

٣- المرجع السابق، ج١، ص٣٠٥.

بين النص والمتكلم والمخاطب سأقوم بعرض نموذجاً آخر للموازنة وهو الموازنة بين شعرٍ منح تراسل الحواس وآخر حرم من هذه الظاهرة الفنية التي تعد نوعاً من الإبداع والتفنن لدى الشاعر:

١- نرى بشار بن برد في المدح بصفة الكرم يراسل بين حاستي الذوق واللمس فيجعل للعطاء طعماً مستلذاً قائلاً:

يسقطُ الطَّيرُ حيثُ ينتشر الحبُّ ... وتُغشى منازلُ الكرماءِ[١]

ليس يعطيك للرِّجاءِ ولا الخو... فِ ولَكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاء

ففي هذين البيتين لبشار براعة في التصوير وإبداع في اختيار الألفاظ، وانطلاقة بالنفس البشرية في تصوير معنى من المعاني التقليدية المتأصلة في المدح العربي منذ العصر الجاهلي وهو صفة الكرم؛ فممدوحه هذا كريم؛ عطاؤه بلا حدود؛ فهو العطاء المتأصل المورث، العطاء من أجل حب العطاء، فهو غير متعلق برجاء أو خوف، ومن جماليات الصورة أن منح للعطاء طعماً يلذ ويتذوق؛ فالتراسل بين حاستي البصر والتذوق أضفى على الصورة ظلالاً؛ فانتقل الشاعر من المريء إلى المتذوق الذى لا يدرك طعمه ولا يحقق أثره إلا بالملامسة، وما بين أيدى الإنسان ليس كمثل ما أمام عينيه؛ وإذا كان المعطِي يستحسن ويتلذذ بطعم العطاء فمما لاشك فيه انعكاس الصورة على المُعطَى، فالإحساس يكون متبادلاً بين الطرفين؛ فهي معان نفسية لا تحيط بها الكلمات ولا تستطيع وصفها بالعبارات.

وإذا كان تراسل الحواس هو المرمي الذى نتحدث فيه إلا أنه توجد كناية تجعلنا نجوب الألفاظ لنبحث عن مكنوناتها؛ فقد كنى ب "الطير" عن الزوار الذين يترددون على المكان باحثين عن العطاء، فهم من الكثرة التي لا يمكن حصرها؛ فمن منا يستطع أن يعد الطير السابح في ملكوت السماء، إذا أضفنا

١- ديوان بشار بن برد ، مرجع سابق، ج١، ص ٨.

إلى هذا العدد الذى لا يحصى العطاء الذى يلذ طعمه الممدوح نرى غاية المدح في هذه الصفة.

٢- ونرى صورة الكرم عند الشاعر الحديث: محمود سامي البارودي في قوله:

أولئـــكَ قومي، أيَّ قـومٍ وعـــدة ... فلا ربعهمْ محلٌ، وَلاَ ماؤهمْ ضحلُ
يَفِيضُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَيْضاً، فَلَيْسَ فِي ... عطائهمُ وعـدٌ، وَ لاَ بـعـدهُ مـطلُ
فزرهمْ تـجدْ معروفهمْ دانيَ الجنى ... عَلَيْـكَ، وَبابَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَـهُ قُـفْلُ[١]

نرى محمود سامي البارودي يصف قومه بالكرم بأنهم يفيضون بالمعروف فيضاً، فحملت الاستعارة في طياتها أجمل معاني المدح؛ فعطاياهم متدفقة كتدفق الماء الذي ترتبط به الحياة، والتدفق ليس على قدر الحاجة بل زاد عنها وفاض، هذه العطايا المتدفقة ليست من أجل وعد أخذوه على أنفسهم، أو بغرض الصلح أو إرضاء نفس بعد المماطلة، فهو العطاء لذات العطاء.

يدلل على كرمهم هذا بقوله " فزرهم تجد معروفهم داني الجني" إذا أردت التأكد من وصفي هذا عليك بزيارتهم تجد معروفهم كالثمار القريبة، فيؤثر الشاعر أسلوب الاستعارة المكنية لما تحمله من خيال يرتقى بالإحساس وتُنتقى معه الألفاظ؛ ليُخرج صورة كاملة مؤثرة يمتزج فيها إحساس المخاطب بالمتكلم، وقد نجح المتكلم في نقل مكنونات نفسه وما يدركه من إحساس إلى المخاطب؛ فسبح معه في عالم اللاحدود هذا العالم الخيالي الذى جعل للمعروف ثماراً دانية، وجعل للخير باباً ليس عليه أقفال.

بين الشاعرين:

- كلا الشاعرين تحدث عن الكرم، وكان لكل منهما طريقته في إثبات المدح، وبعد العرض السابق نستطيع القول:

١- ديوان محمود سامي البارودي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣ م ص ٢١٣.

١- كلا الشاعرين أجاد وأحسن لكن بشار بن برد كان أفضل في اختيار مفرداته؛ فجعل طالبي العطايا – هذا الطير– يسقط في المكان الذي ينتثر فيه الحب (يسقطُ الطَّيرُ حيثُ ينتثر الحبُّ) وكأنه حق مكتسب له فليست في حاجة إلى ترقب حتى تتردد في تتناول الحب، مؤثراً الكناية متكئاً على الأسلوب الخبري.

أما البارودي فطلب منك أن تبذل جهداً من أجل التحقق من الأمر في قوله: "فزرهمْ تجدْ معروفهمْ دانيَ الجنى عَلَيْكَ" وقد استعان بالأسلوب الإنشائي، متكئاً على الاستعارة.

٢- جعل بشار للعطايا طعما يلذ فقال:(ولَكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاء) ونعلم أن حاسة الذوق من أقوى الحواس لأنه لا تذوق بلا لمس، ويترتب عليها سرعة إدراك أثر المُتذوق، متكئاً على الاستعارة المكنية المتوجة بتراسل الحواس؛ وما يدرك بالحواس أقوى من غيره.

أما البارودي: فجعل قومه يفيضون بالمعروف دون التحقق من أثره فقال:(يَفِيضُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَيْضاً) فقد اعتمد على الاستعارة المكنية دون تراسل للحواس.

٣- استعان البارودي بلفظين كان أحرى به أن يربأ بشعره عنهما وهما الوعد، والمماطلة في قوله:(فَلَيْسَ فِي عطائهمُ وعدٌ، وَلاَ بعدهُ مطلُ)؛ فالمقام مقام فيض كما ذكر وليس مجرد مقام عطاء.

– نري تراسل الحواس في أبيات بشار انطلقت بنا إلى عالم خيالي محسوس، أثر في النفس، وجعل الخيال يسابق الواقع في محاولة للربط بين ما كان يجب أن يكون وبين ما هو كائن، تاركاً أثره في النفس، آسراً للمخاطب جاعلاً منه كياناً متصلاً بالمتكلم، فهوفن بلاغي يطمح إلى جعل إدراك الإحساس بالشعر اكثر مقبولية عند المتلقي، وذلك من خلال تغيير وظيفة حاسة ما بوظيفة حاسة أخرى؛ مما يجعل المخاطب في حاجة هو الآخر إلى توظيف كافة مهاراته الإدراكية للتوصل إلى ماهية ما

تعنيه الحاسة المذكورة، والعلاقة بينها وبين الحاسة الأخرى وأثرها في إدراك المعنى؛ لذا ينبغي أن يُعطى هذا الفن البلاغي مزيداً من الاهتمام، ويسلط عليه الضوء؛ لما له من أثر مزدوج على المتكلم والمخاطب.

ومما كان لهذا الفن من أثر فعال في النص الأدبي أياً كانت لغة هذا النص فإن تراسل الحواس لم يكن مقتصراً على اللغة العربية فحسب وإنما وُجد في كل اللغات "وقد وجد هذا التبادل، او التراسل، في شعر كل اللغات [١]، ومنها لغتنا العربية في قصائد الاولين، فكان الشعر ميداناً خصباً في قول ما يريدون قوله بهذا الشأن، فاستخدموا الحواس حسب ذائقتهم الشعرية، وحسب تصورات مخايلهم الشعري الخصب الذي ينتج ما لا يمكن انتاجه في الواقع"[٢].

١- يوجد العديد من الدراسات المقارنة منها: ظاهرة تراسل الحواس في الأدبيين العربي والفارسي " دراسة مقارنة" ، هادي نظري منظم ، ورحيم كثير، وأمينه سليماني ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة رازي كرمانشاه ، العدد ٢٥ ،٢٠١٧م.

٢- تبادل الحواس أنموذجا، عمل المخيال في الشعر العربي، داود سلمان الشويلي. https://www.azzaman.com/.

نتائج البحث وتوصياته

النتائج:

بعد هذه الدراسة التي مزجت بين العصور المختلفة ، والأساليب المتنوعة، ووجهات النظر المتباينة في دارسة قضية أثيرة حول فن بلاغي يتخطى حدود الأسلوب ليبور مكنونات الذات البشرية ، ينقل ما في القلب ليصل إلي القلب بخروج عن المألوف، جاعلاً من الذكاء المتبادل بين المتكلم والمخاطب وسيلة للتواصل، هذا الفن الذى أراد الرمزيون أصحاب أحد المذاهب الأدبية نسبته إليهم نسبة خالصة؛ لما فيه من براعة في الأساليب التي تحمل في طياتها معان غاية في الرقى. أتت هذه الدراسة بهدف اثبات نسبة هذا الفن إلى أهله مؤكدة ذلك بشواهد من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة، والشعر العربي، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج محققة لهذا الهدف أهمها ما يلي:

– إن تراسل الحواس لا يقف عند الدراسات الأدبية بل له أصول عميقة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

– أثبت البحث أن قضية التراسل ليست وليدة العصر كما يزعم الرمزيون وليست من ابتكاراتهم بل لها جذور قديمة عبر العصور الأدبية المختلفة.

– ليس عدم التعرف على المصطلح أو المسمى مما ينفى وجود الظاهرة، ويدل على ذلك ما ورد أثناء البحث من استشهادٍ بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والأبيات الشعرية، التي ظهر فيها التراسل للحواس جلياً.

– من خلال البحث نستطيع القول بأن التراسل يعد وسيلة من وسائل بناء الصورة يهدف إلى الجمال الفني؛ فالشاعر المبدع يستطيع أن ينقل الصورة إلى العقل وإعادتها ثانية في صورة شعرية فنية منحرفة عن الواقع ولكنها غير خارجة عن إطار الحواس إلا في الوظيفة الخاصة بتك الحاسة.

– كون هذا البحث يؤكد ويعضد قضية الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وبيان دوره فى الحفاظ على اللغة العربية، والرد على كل من يريد النيل منها.

– ولما كانت اللغة هي وسيلة التعارف كان الإعجاز البلاغي وسيلة لبيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

– إن هذا البحث يعد نواة لتلك القضية يفتح آفاقاً جديدة لكيفية دراسة البلاغة، وتحليل النصوص تحليلاً فنياً دقيقاً يهتم بالجوهر والعرض– الشكل والمضمون–، والمعنى ومعنى المعنى.

التوصيات:

وانطلاقاً من تلك النتائج الهامة توصي الباحثة بما يلى

– أن يتحرى الباحثون في مجال البلاغة العربية الدقة في نسبة هذا الفن إلى أهله، فلا ينسب إلى مذاهب أدبية غربية لا فضل لهم فيه إلا في التسمية فحسب.

– الاعتزاز باللغة التي هي الأصل في الإعجاز القرآني وتحري الدقة في كل ما ينسب إليها أويسلب منها.

– اعطاء هذا الفن مزيداً من الاهتمام والعناية، وأن يأخذه مكانته وينتشر من خلال عقد ندوات ومؤتمرات تشجع الباحثين على خوض غمار البحث في هذا الفن بدروبه المختلفة.

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم
٢. إبراهيم عبد القادر المازني، بشار بن برد، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٣. أثر إغفال السياق فى الابتعاد عن الدلالة المرادة فى الخطاب القرآني، بحث، الشريفي، رحيم كريم علي، المحني، حسين علي هادي (م مشارك)، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة – العراق، مج١٠, ع٣٥، لسنة ٢٠١٥ م، وهى مجلة علمية محكمة رقم :MD ٧٠٩٩٢٧
٤. الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، بدون سنة طبع.
٥. الإكسير في علم التفسير، للفقيه الطواقي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي المتوفي سنة ١٢١٦م، تحقيق الدكتور / عبد القادر حسي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون سنة نشر.
٦. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٧٣٩هـ، تحقيق الدكتور/ عبد القادر حسين، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.
٧. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة دار إحياء التراث العربي، مصر، ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م.
٨. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: الشيخ عبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب، الطبعة الأولى،٢٠٠٩م.
٩. بناء القصيدة العربية الحديثة، د/ على عشرى زايد، مكتبة دار العلوم، القاهرة،١٩٧٩م.

١٠. البيان والتبين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ١٤٢٣هـ.
١١. تبادل الحواس أنموذجا، عمل المخيال في الشعر العربي، داود سلمان الشويلي، موقع الزمان. https://www.azzaman.com/.
١٢. تراسل الحواس في الشعر العربي الحديث، بحوث ومقالات، د/ عبد الرحمن بن عبد العزيز الهليل،العقيق – نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي – السعودية يناير – مارس ٢٠٠٥م،مجلد ٢٧،العدد ٥٤،٥٣.
١٣. تراسل الحواس في الشعر العربي القديم، د/ عبد الرحمن محمد الوصيفى، مكتبة الآداب، ٢٠٠٢م.
١٤. تراسل الحواس في الشعر العربي القديم حتي نهاية العصر الأموي د نظمى الشلبي، د محمود الحلحولي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد) ٥(العدد) ٣(رجب ١٤٣٠ هـ/ تموز ٢٠٠٩ م، ص ١١.
١٥. تراسل الحواس في ملتقى ابن خلدون، د/ أحمد فتحي رمضان، كلية الآداب، جامعة الموصل، منشور بموقع: http://ebn-khaldoun.com
١٦. تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق الدكتور/ عبد القادر حسين، دار الأوزعي، ١٩٨٩م.
١٧. التصوير البياني دارسة تحليله لمسائل البيان، د، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣ م.
١٨. التصوير الفني في القرآن، الشيخ سيد قطب، دار الشروق، الطبعة ١٦، سنة الطبع ٢٠٠٢م.
١٩. التفسير البلاغي الميسر الجزء الخامس والعشرون من القرآن الكريم، د/ عبد القادر حسين، دار غريب،٢٠٠١م.

٢٠. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ،١٩٨١م.
٢١. تفسير القرآن (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، بدون سنة طبع.
٢٢. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم، للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، الطبعة الثانية، دار الغد، بدون سنة طبع.
٢٣. التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن على التيمي البكري الرازي (٥٤٤ ٦٠٦هـ)، دار الغد العربي، القاهرة، بدون سنة طبع.
٢٤. تمهيد في النقد الأدبي الحديث، غريب، وروز، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
٢٥. جمهرة اللغة، لأبى بكر محمد بن دريد الأزدي المتوفي ٣٢١هـ، تحقيق إبراهيم، شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون سنة طبع.
٢٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للسيد أحمد الهاشمي، تحقيق: د يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون سنة طبع.
٢٧. الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار،عالم الكتب – بيروت، بدون سنة طبع.
٢٨. خلاصة المعاني، للحسن بن عثمان المفتي، تحقيق د عبد القادر حسين، الناشرون العرب، المملكة العربية السعودية، دار النصر الإسلامية للطباعة، القاهرة، بدون سنة طبع.
٢٩. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٥، المطبعة الدولية، القاهرة، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٣٠. ديوان أحمد شوقي، تحقيق: د/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، بدون سنة.
٣١. ديوان الشريف الرضي، دار صادر – بيروت، ١٣٨٠هـ ١٩٩١م.
٣٢. ديوان بشار بن برد، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار الطباعة: سحب الطباعة الشعبية للجيش الجزائري بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة الإسلامية، سنة الطباعة ٢٠٠٧م.
٣٣. ديوان بشار بن برد، تحقيق حسين حمودي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٣٤. ديوان جرير، المؤلف جرير بن عطية الخطفي، دار للطباعة بيروت والنشر، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
٣٥. ديوان جميل بثينة، لجميل بن معمر، دار صادر – بيروت، بدون سنة طبع.
٣٦. ديوان جميل بن معمر، بدون سنة طبع.
٣٧. ديوان على بن جبلة، الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، بدون سنة طبع.
٣٨. ديوان عنترة المكتبة الثقافية، بيروت، بدون سنة طبع.
٣٩. ديوان محمود سامي البارودي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون سنة طبع.
٤٠. رسالة ماجستير بعنوان تراسل الحواس في شعر العميان في العصر العباسي بشار بن برد أنموذجاً، غادة خلدون أبو رمان، اشراف: د نجود عطا الله الحوامدة، جامعة جرش كلية الآداب بالأردن، ٢٠١٦م.
٤١. الرمزية الإيحائية في شعر بدر شاكر السياب، خيرية عجرش، وقيس خزاعل، مجلة التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد السادس، بحث بعنوان الصورة الفنية في النص الشعرى الحديث (الحر): نازك الملائكة أنموذجاً

د/ رائد وليد جرادات، مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٩، العدد(١+٢) سنة ٢١٣م، بدون سنة طبع.

٤٢. سامي الدروبي: علم النفس والأدب، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.

٤٣. سيرة عنترة، مخطوط بالمكتبة العلمية الحديثة، المؤلف مجهول، بدون سنة طبع.

٤٤. الشعر العربي المعاصر، إسماعيل عز الدين، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨١م.

٤٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: د مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير , اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٤٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون سنة طبع.

٤٧. صفقات رابحة كيف تحجز مقعداً في الجنة، خالد أبو شادي، الطبعة الأولى دار الأندلس الجديدة، ٢٠٠٩م.

٤٨. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.

٤٩. الصورة الفنية في الحديث الشريف، أحمد ياسون، دار المكتبي، سوريا، ٢٠٠٦م.

٥٠. ظاهرة تراسل الحواس في الأدبيين العربي والفارسي " دراسة مقارنة"، هادي نظري منظم، ورحيم كثير، وأمينه سليماني، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة رازي كرمانشاه، العدد٢٥، ٢٠١٧م.

٥١. علم البيان، الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، الطبعة الثانية،.١٩٩٥م.

٥٢. عمدة القاري: شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون سنة طبع.
٥٣. عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، مصدر الكتاب: موقع الوراق،http://www alwarraq com.
٥٤. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: على محمد البجاوي، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.
٥٥. الفروق اللغوية، لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق / محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٥٦. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية المتوفي سنة ٧٥١هـ، حققه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، بدون سنة طبع.
٥٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق يوسف الحمادي، مكتبة مصر، الفجالة، بدون سنة طبع.
٥٨. الكشكول: محمد بهاء الدين بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، المحقق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م.
٥٩. لسان العرب، للعلامة ابن منظور، تحقيق نخبة متخصصة من الأساتذة، طبعة دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٦٠. مادة النقد الأدبي الحديث، مقال، إعداد أيمن محمد أبو بكر قسم اللغة العربية كلية اللغات، جامعة المدينة العالمية شاه علم ماليزيا موقع :http://mylibrary.mediu.edu.my.

٦١. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، بدون سنة طبع.
٦٢. مجمع الأمثال أبو الفضل النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، بدون سنة طبع.
ويكيبيديا الموسوعة الحرة https://ar wikipedia org/wiki9.
٦٣. المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، السرى الرفا، تحقيق: مصباح غلاونجي، وماجد حسن الذهبي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
٦٤. المحكم والمحيط الأعظم، لأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيدة المرسي المعروف بابن سيدة، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.
٦٥. مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبى بكر الرازي، تحقيق محمد خاطر بك، دار القرآن، بيروت ن ١٩٧٢م.
٦٦. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق – ١٩٨٥، الطبعة السادسة، بدون سنة طبع.
٦٧. مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن): نصر حامد أبو زيد، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي للطباعة والنشر، القاهرة، م ١٩٩٦م.
٦٨. مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥)، ترتيب إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
٦٩. المنتخب من كنايات الأدباء وارشادات البلغاء، للقاضي أبى العباس أحمد بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، بدون سنة طبع.

٧٠. النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، سنة ١٩٩٧م.

٧١. نهج البلاغة، لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون سنة طبع.